مَهْرَة

في مصادر اللغة والأدب

(لسانها - إبلها - طائفة من أخبارها)



الدكتور
عامر فائل محمد بلحاف

٢٠١٨م

مَهْرَة في مصادر اللغة والأدب

(لسانُها – إبلُها – طائفةٌ من أخبارها)

د. عامر فائل محمد بلحاف

الطبعة الأولى

2018

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٩١٤ /٢٠١٨م)

مكتبة صلاح الدين
جملة . تجزئة





الحديدة - شارع جمال - أمام ملعب العلفي
733287196 - 219378 - 219379 - 234210
E mail: sdstationery@yahoo.com
facebook.com/sdstationery

إلى مُهجة القلب ... مريـــم

أهـــدي هـــذا الجهـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، الحمدُ له من علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، ثمّ الصلاة والسلام على نبيّه الهادي المعلمّ، سيدنا محمد النبي الأمي الأكرم، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى اليوم الآخر. وبعد ،،،

خلق الله عزّ وجلّ الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، وجعل ميزان الكرامة بينهم التقوى ليس غير، وخصّ بعضهم بلسانٍ يتواصلون به، ويعبّرون بواسطته عن مكنونات أنفسهم وحاجياهًا، وقد مثّل هذا اللسان لدى السواد الأعظم منهم هويةً وثقافةً وتراثًا. ومن هؤلاء الأقوام (مهرة)، أولئك العرب الأقحاح الذين اتخذوا جنوب جزيرة العرب موطنًا ومسكنًا منذ سالف العصور وقديم الدهور، وانطلق بعضهم منها إلى بقاع مختلفةٍ من أرض الله الواسعة حاملاً معه لسانه المهريّ الذي لا ينفكّ عنه، ليكون الوسيلة التي تربطه بغيره من أبناء جلدته، وإنْ اتّسعت الشُقة وتباعدت الأوطان.

والحقُّ أنّ الحديث عن قوم (مهرة) في المصادر العلمية القديمة حديثٌ ذو شجون، يتوزع بين التاريخ والأنساب والتراجم والأدب واللغة وعلوم الشريعة وغيرها، وكأنّ لسان حال تلكم المصادر يردّد أنّ هؤلاء الأقوام ذوو منزلة سامقةٍ ومقامٍ رفيع.

وتأسيسًا على ما سبق: يحمل هذا الكتاب عنوان (مَهْرة في مصادر اللغة والأدب: لسانُها – إبلُها – طائفةٌ من أخبارها)، ويمثّل محاولةً لإضاءة بعض

الزوايا الخاصة بقوم (مهرة) من خلال الحديث عن أمورٍ ثلاثة: اللغة والإبل والأخبار، وقد تجلّت هذه الفكرة نتيجة قراءات متراكمة في الكتب اللغوية والأدبية العربية دون غيرها، إذْ قد يُفاجأ القارئ بسلسلة من المعارف والمعلومات والطرائف عن مهرة ليست بالقليلة، سلسلة معارف ومعلومات وطرائف تظهرها أمةً عريقة منذ عصور خلت، وقبل الإسلام وبعده.

تحدث الفصل الأول من هذا الكتاب عن اللسان المهري، ذلك اللسان المحكي في أقصى الشرق اليمني وبعض مناطق المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة من جوانب أربعة؛ الأول: المهرية بين اللغة واللهجة، والثاني: المهرية في مصادر التراث العربي، والثالث: بعض عناصرها اللغوية القديمة التي مازالت محتفظة بها وعددها تسعة عناصر لغوية قديمة احتفظت بها، والرابع: نماذج دالة من بعض الألفاظ العربية الفصيحة التي مازالت المهرية محتفظةً بها إلى يومنا هذا، حيث رصد المبحث ستًّا وأربعين مفردة عربية فصيحة متداولة في المهرية ومهجورة في الاستعمال الفصيح.

وخُصّص الفصل الثاني للإبل المهرية التي أنصفها الشعر العربي القديم، فأظهرها مقدمةً على غيرها، مفضلةً عمّا سواها، فلا تكاد تُذكر فيه الإبل إلاّ وتُذكر معها المهرية الموصوفة بالنجابة والأصل الكريم وقوة التحمل والسرعة إلى غيرها من الصفات التي كان يفضّلها العربيّ في الراحلة قديمًا. لذا قُسّم الكلام عليها في هذا الفصل على أربعة مباحث: عنى الأول بتقديم الإبل المهرية بعدّها أموال مهرة ومفخرتهم، وفصّل الثاني في أسمائها، والثالث في صفاتها، والرابع في علاقتها بالرحلة، وتم كلّ ذلك بالدليل والتدليل من خلال عددٍ كبير من الشواهد الشعرية العربية القديمة.

وعنى الفصل الثالث بذكر طائفة من أخبار مهرة في التراث العربي القديم، إذ تسوق مصادر اللغة والأدب بعض الأخبار التي تُظهر هؤلاء الأقوام قاطني جنوب الجزيرة أولي مساكن وثروات وبطون وشخصيات ومواقف وأعمال، كما تُظهرهم عربًا مشهورين معروفين بالأمس منسيين مغمورين اليوم. ولتفصيل القول في ذلك قُسّم الفصل على مباحث ثلاثة: الأول: مواضع مهرية في الجزيرة العربية، والثاني: بطون مهرة وشخصياتها في مصادر اللغة والأدب، والثالث: طائفةٌ من أخبار مهرة في تلك المصادر.

ختامًا... لا يفوتني أنْ أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان للصديق الدكتور/ محمد مسلم دبلان المهري الذي تفضّل مشكورًا بمراجعة صفحات هذا الكتاب، وتقويم ما انآد منه، وتدوين بعض الملحوظات التي أفدتُ منها، بالإضافة إلى تزويدي بمصادر ومراجع فاتني بعضٌ منها، فله الشكر والتقدير والثناء الحسن.

وبعد،،، فهذه محاولة تنضاف إلى سابقاتها، وسعيٌ إلى إنصاف قومٍ لم يُنصفوا، فإن كتب الله تعالى لهذه المحاولة وهذا السعي التوفيق والسداد، فذلك المبتغى وإليه كان المسعى، وإنْ كُتب غير ذلك فهي اجتهاد. سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله ربّ العالمين.

د. عامر فائل محمد بلحاف المهري

فهرس المحتويات

الفصل الأول

لسان مهرة

توطئة:

مازالت المهرية تشغل بال ثُلّةٍ من الباحثين والدارسين؛ لذا تناولها عدد منهم بالبحث والدرس قديمًا وحديثًا، عربًا وغربًا، فشرّقوا فيها وغرّبوا، وخرج بعضهم بنتائج علمية ولغوية مقنعة، ولم يقنع بعضهم الآخر الوسط العلمي واللغوي بنتائجه. والحق أنّ تلك الجهود جميعها حرية بالتقدير والثناء، وحسبها أنّها حاولت واجتهدت، فركبت مركبًا صعبًا، وخاضت غمارًا طالما تردد في خوضه كثيرون.

وقد دأب الباحثون الذين يدرسون لغة مكان ما أو لهجته أن يحددوا معالمه أولاً، ويصفوا جغرافيته، ذلك أنّ اللغة أو اللهجة تتموضع في رقعة من الأرض؛ محددة المعالم والجهات والسكان والجغرافيا، وصولاً إلى أحكام لغوية دقيقة وموضوعية. وتأسيسًا على هذا فالمهرية – التي يتناول طرفًا منها هذا الكتاب– لسانٌ يتكلم به أهل المهرة المنتمون نسبًا إلى: مهرة بن حيدان بن عمرو بن لحاف بن قضاعة ، ويمتد النسب بعد ذلك إلى مالك بن حمير[1].

أمّا بلادهم المهرة، فهي اليوم محافظة من محافظات اليمن وبوابتها الشرقية؛ إذ تحدّها سلطنة عُمان شرقًا، والمملكة العربية السعودية شمالاً، ومحافظة حضرموت غربًا، ويحدّها من الجنوب بحر العرب، وتتموضع هذه البلاد في رقعة جغرافية كبيرة تتجاوز ٩٣٠٠٠ كم[2]، ممّا جعل تكوينها

---

(١) ينظر : الأنساب للسمعاني ٨٣/١، ومن مصادر اللغة والأدب: العقد الفريد ٣ / ٣٠٣.

(٢) النشرة الإحصائية للجهاز المركزي للإحصاء بمحافظة المهرة ، ص (٩).

الجيولوجي يتنوع بين أراضٍ ساحلية، وثانية سهلية، وثالثة جبلية، وفي الداخل توجد الوديان السحيقة والصحارى الممتدة.

في هذا الامتداد الجغرافي والتنوع الجيولوجي تكلم الناس المهرية منذ زمن قديم، وتنوعت ألسنتهم فيها بحسب الجغرافيا، والحق أنّ المهرية لم تنحصر في تلك الحدود التي رُسمتْ، بل تعدتها إلى بلدان مجاورة كسلطنة عُمان؛ إذ تتكلمها بعض قبائل الإقليم الجنوبي (محافظة ظفار) المنحدرة من أصول مهرية، كما تتحدث بها بعض قبائل المملكة العربية السعودية في الربع الخالي والمنطقة الشرقية المنحدرة من الأصل نفسه، وتتحدث بها أيضًا قبائل المهرة في الإمارات العربية المتحدة.

ويمثّل هذا الفصل محاولة لإضاءة بعض الجوانب الخاصة بالمهرية، وتجلية بعض الغموض الذي اكتنفها منذ زمن، وهو فصلٌ يتحدث أولاً عن اللغة المهرية في مصادر التراث، ثمّ يقوم على افتراض أنّ المهرية تحتفظ ببعض العناصر اللغوية القديمة،كما تحتفظ أيضًا ببعض المفردات العربية الفصيحة التي هُجرت في الاستعمال اليوم، فالفصل يسعى إذن إلى استجلاء جوانبَ من الإرث اللغوي المهري القديم من جهة، وبيان ما يحفل به من ألفاظ عربية فصيحة من جهة ثانية، ردًّا على من شكّك في عروبة هذا اللسان، أوحاول عزله عن محيطه العربي.

هذا وقد انبرى لدراسة المهرية عدد لا بأس به من الباحثين– بخاصة الغربيون منهم وسيأتي الفصل على ذكر عددٍ منهم– فوجد فيها بعضهم قربًا من العربية الشمالية، وعدّها بعضهم من بقايا الحميرية، ومنهم من جعلها أقرب

إلى الجعزية أو العبرية، أو غيرها مّما سيأتي عليه الفصل لاحقًا. ومهما يكن من أمر، فهذا اللسان مازال بحاجة إلى دراسات علمية موضوعية، وفي مستويات لغوية متنوعة: صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية، قد تساعد في تجلية الغموض الذي اكتنفه، والتعرف على حقيقته وجوهره اللغوي.

المبحث الأوّل

المهرية... لغةٌ أم لهجة؟

من الأسئلة التي تدور بكثرة على الألسنة عند الحديث عن المهرية: هل هي لغة أم لهجة؟ حيث ينقسم المتحاورون عادةً على فريقين: أحدهما يراها لهجةً لا ترقى لمستوى أن تكون لغة، والثاني يؤكد بما أوتي من حجج وبراهين وبما لم يؤتَ أنّها لغة، ويحتدم الخلاف ويشتد دون الوصول إلى رأي واحد في الأغلب الأعم. وقد عرّجتُ على هذه الإشكالية في كتابي (اللغة المهرية المعاصرة بين عربيتين) في ثنايا حديثي عن المهرية في بعض مصادر اللغة، ورحتُ أسعى إلى إثبات أنّ المهرية لغةٌ وليست لهجة، بيد أنّ الحديث أتى مبثوثًا هنا وهناك، لذا رأيتُ أنْ أُلَمّ شتاته في هذا الموضع تحت هذا المبحث.

عرّف اللغويون العرب المتقدمون اللغة فقالوا: "أصواتٌ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، وفرّق بعض اللغويين المعاصرين بينها وبين اللهجة فقال:

---

(١) الخصائص لابن جني ٣٣/١.

"اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: هي مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اُصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص؛ فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميّزها، **وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية** التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"(١).

وأمام هذا التفريق الدقيق يبرز سؤال مفاده: أين تقع المهرية؟ أهي لغة أم لهجة؟!إنّ الإجابة عن هذا السؤال قد تظهر لنا في ثنايا بعض المصادر اللغوية التي تحدثت عن المهرية، ومنها:

- فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي الذي قال في معرض حديثه عن غلبة اللغة العربية على لغات اليمن وجنوب الجزيرة: "غير أنّه قد أفلت من هذا المصير في اليمن بعض مناطق متطرفة نائية، ساعد انعزالها وانزواؤها على حمايتها من اللغة العربية، فظلت محتفظة بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر، وأشهر هذه اللهجات اليمنية الباقية ثلاث لهجات: إحداها : **اللهجة المهرية** التي يُتكلم بها الآن في منطقة المهرة الواقعة شرق حضرموت، وثانيتها: لهجة الشحر أو اللهجة الأخليكية(٢)، وهي منتشرة في منطقة جبلية واقعة في الشرق من

---

(١) في اللهجات العربية، ص(١٦).

(٢) ربّما قصد: الحكلية.

منطقة اللهجة المهرية، وثالثتها: اللهجة السقطرية، وهي لهجة جزيرة سقطرة والجزر المجاورة لها. **وقد بعدت هذه اللهجات بعدًا كبيرًا عن أصولها الأولى، بل بعدت عن اللغات السامية جميعها تحت تأثير ما انتابها من عوامل التطور الطبيعي، وكثرة المراحل التي اجتازتها في هذا السبيل، وطول عمرها**، وتأثرها باللغات التي احتكت بها، وخاصة اللغة العربية"[1].

إنّ كلام وافي صريح في أن المهرية لهجة، وهو بعد ذلك يراها قد ابتعدت عن أصولها الأولى بل عن اللغات السامية جميعها، والحق أنّ هذا الحكم محل نظر للأسباب الآتية:

* بُعد اللهجة عن أصولها الأولى يجعلها غريبةً على أخواتها، بعيدةً، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في اللغة نفسها، فلا تلبث أن تستقلّ وتصبح لغةً قائمةً بذاتها، وقد نصّ على هذا الأمر الدكتور إبراهيم أنيس [2]، وهو أمرٌ حصل للمهرية بالفعل، إذْ لا يستطيع جيرانها المقربون منها – كأبناء حضرموت – فهمها أو فهم حديث متكلميها.

* سيثبت البحث خلاف ما ذكره الدكتور وافي بشأن بعد المهرية عن اللغات السامية عند حديثه في المبحث الثالث من هذا الفصل عن العناصر اللغوية في المهرية، فجلّها عناصر سامية قديمة.

---

(١) فقه اللغة، ص(٦٧).

(٢) ينظر: كتابه في اللهجات العربية ص (١٦)..

* اعترف وافي للمهرية بالخضوع لعوامل التطور الطبيعي، وكثرة المراحل، وطول العمر، والتأثر باللغات، وهذا يعني أنّها لم تعد بيئة جزئية من بيئة أوسع، بل هي بيئة مستقلة تقتضي أن يكون لها لسان مستقل هو اللغة لا اللهجة.

- الساميون ولغاتهم لحسن ظاظا: إذْ قال:"لم تمت الحميرية في العصر الحديث نهائيًا، بل كان شأنها شأن الآرامية التي بقيت منها بضع قرى تتكلم لهجة عامية آرامية إلى الآن، فهناك أيضًا طائفة من اللهجات الباقية من الحميرية القديمة إلى يومنا هذا تُستعمل في بعض مجتمعات من أصول يمنية تعيش في أقصى الجنوب من شبه الجزيرة العربية على ساحل المحيط الهندي، وقد اشتُهرت في هذا الإقليم لهجتان: **إحداهما: اللهجة التي يسمونها (مهرى)**، والثانية: (شخوري)، تضاف إليهما لهجة مستعملة في جزيرة (سقطرى) المواجهة للجنوب العربي في المحيط الهندي، وهي لهجات غير مكتوبة، كما أنّه ليست لها ثقافة عدا بعض الأمثال والمأثورات القليلة الشعبية"[١].

ولي على قول المؤلف الملاحظات الآتية :

أ – جعل المؤلف المهرية من بقايا الحميرية فقط ، وهذا أمرٌ محل نظر، إذْ ستثبت المباحث اللاحقة أنّ فيها عناصر لغوية متنوعة حميرية وغير حميرية.

---

(١) الساميون ولغاتهم، ص (١٤٤).

ب – عدّ المؤلف المهرية لهجة من اللهجات العربية الجنوبية، وهناك من يصطلح على هذه المجموعات اللغوية باللغات العربية الجنوبية.

ج – يبدو أنّ المؤلف قد اعتمد في ما ذكره على مصادر أجنبية نقل عنها، إذ قال: (محرى) وهي في الحقيقة: مهرة[1]، وقال: (شخوري)، وهي في الحقيقة: الشحرية أو الجبالية المستعملة إلى أيامنا هذه في جبال محافظة ظفار الإقليم الجنوبي من سلطنة عُمان.

د – وصف المؤلف المهرية والشحرية والسقطرية بأنّها ليست لها ثقافة، والحق أنّ هذا الحكم مجانب للصواب، ذلك أنّ الثقافة هي الوجوه المميزة لمقومات أمة ما من عقائد وقيم ولغة ومبادئ وعادات وسلوك وأخلاق، ولا يُعقل أنّ يخلو تجمع بشري أيًا كان من هكذا مقومات.

- تاريخ اللغات السامية لولفنسون: وقد مضى رأيه في الصفحات السابقة، لكن دون مناقشةٍ له ومحاكمةٍ وتحليل. قال ولفنسون: "وكذلك ليس من شك في أنّ اللهجات اليمنية قد احتفظت بعناصر سبئية ومعينية قديمة، يمكن للباحث أن يميّزها من العربية إذا هو وازن بينها وبين الكلمات العامية المستعملة في الأقاليم الجنوبية من الجزيرة العربية وفي الجزر المجاورة لها. وأهم هذه اللهجات **لهجة مهرة** التي احتفظت ببعض الخصائص السامية الأصلية في نطق كلمات كثيرة، وهي تجمع بين المادة اللغوية السبئية والمعينية المألوفة في النقوش وبين

(١) أنصح بالعودة إلى معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٤/٥.

العربية الشمالية. لذا يمكن أن يقال إنّ لهجة مهرة امتزجت بها عناصر كثيرة من الشمال والجنوب امتزاجًا لا نظير له في جميع اللهجات العربية، وهي كثيرة الشبه باللغة الجعزية القديمة، وفيها صيغ كانت مألوفة في اللغات السامية القديمة ثم تلاشت وضاعت"(١).

إن كلام ولفنسون هذا صريح في أمرين:

الأول: تحتفظ المهرية بخصائص من السامية الأصلية في نطق كلمات كثيرة.

الثاني: تجمع المهرية بين المادة اللغوية اليمنية القديمة والعربية الشمالية.

وهو يحوي مجموعة من الافتراضات التي أعتقدُ بسدادها، وسأحاول إثبات بعضها، لكنّ كلامه أيضًا صريح في أنّ المهرية لهجة! والسؤال الذي ينبغي أن يُطرح هنا: هل للسان يحتفظ بعناصر سبئية ومعينية وسامية أصلية وعربية شمالية وجعزية أن يكون لهجة؟! الأحرى به أن يكون لغة؛ لأنّ الاختلاف لم يعد في صفات لغوية ضمن بيئة خاصة، ولم يعد عادات كلامية مستقلة، بل تعداه إلى عناصر لغوية متنوعة يضرب بعضها في حقب زمنية موغلة في القدم.

- علم اللغة العربية لحجازي: تحدث محمود فهمي حجازي عن المهرية في مواضع متفرقة من كتابه واصفًا إيّاها باللغة لا اللهجة، فقال في أحدها: "إنّ ظهور الإسلام قد ساعد على انتشار العربية الشمالية في

(١) تاريخ اللغات السامية، ص(٢٢٥).

اليمن، فتعرّب جنوب الجزيرة شيئًا فشيئًا، ولكنّ هذا التعريب لم يشمل إلى اليوم كل مناطق اليمن، **فهناك مجموعة لغات عربية جنوبية معاصرة في جنوب الجزيرة العربية** والجزر القريبة من الساحل الحضرمي، وأهم هذه اللغات: **اللغة المهرية**"[١].

لقد اصطلح حجازي على الألسن العربية في جنوب الجزيرة باللغات، وجعل المهرية واحدة منها، وما من شك في أنّ حكمًا لغويًا من باحثٍ رصين كهذا سيكون له ما يسنده من الأدلة وما يعضده من البراهين.

- من لهجات مهرة وآدابها: ألّف هذا الكتاب علي بن محسن آل حفيظ، وظهر مطبوعًا في العام ١٩٨٩م، ويُحمد للمؤلف أنّه كان من الناطقين بالمهرية، ومن المجيدين للشحرية والسقطرية، قال: "وما هذا البحث المتواضع إلاّ كلمة تفنيد لمزاعم باطلة لآراء متجنين على عروبة **لهجات (مهرة)** وصلاتها الاشتقاقية بغيرها من لغات العائلة السامية المزعومة، وما هدفتُ إليه هو جلاء الشك من الريب لإثبات عروبة لهجات مهرة، باعتبارها الأصل للعديد من الألسن والاشتقاقات الأسلوبية والألفاظ والجمل والمصطلحات والتراكيب في مختلف اللغات السامية القديمة نفسها. ليس هذا فحسب، **بل إنّني أزعم أنّها أقدم من العبرية والحبشية قدم الجنس العربي في الأرض العربية**، ولعلّ لهجات مهرة اليوم تمثّل الأصل المرجعي لكل من

---

(١) علم اللغة العربية، ص (١٨٧) ، وتنظر كذلك الصفحات (١٤١ ، ١٥٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٦) .

العبرية القديمة والحبشية (الجعزية) من حيث الألفاظ والأسلوب وغير ذلك ... أمّا العربية الفصحى فلا مجال لإنكار صلتها بلهجات مهرة، وذلك يتأكد من مقارنة المفردات اللفظية، والصيغ الفعلية، وتركيب الجمل، والبناء الصرفي"[1].

إنّ المؤلف يرى أنّ لهجات مهرة – بحسب تعبيره – عروبية خالصة، وهو يرد بذلك على من رأى خلاف هذا الرأي، ثمّ هو يجعلها أصلاً مرجعيًا لبعض اللغات السامية، ولا ينكر علاقتها بالعربية الفصيحة، بل يراها متينة وثيقة العُرا. ولا أختلفُ مع المؤلف– رحمه الله – في شيء ممّا ذكر ، لكن.. إذا كان المؤلف يعدّ المهرية أمًّا للشحرية والسقطرية والبطحرية والحرسوسية فلِمَ اصطلح عليها باللهجة؟! لِمَ لَمْ يعدّها لغة مادامت تنضوي على لهجات؟ ثمّ أنّها إذا كانت أصلاً لبعض اللغات السامية كالعبرية القديمة والحبشية الجعزية فهل ستبقى لهجة وفروعها لغات؟!

إنّ الرأي الذي أطمئن إليه بعد هذا السرد **أنّ المهرية لغة وليست لهجة** ، وعندما أذهب هذا المذهب وأرى هذا الرأي أستندُ إلى الأمور الآتية:

١. تحتفظ المهرية بعناصر لغوية متنوعة، وهذا يعني أنّ الصفات اللغوية فيها ليست واحدة والعادات الكلامية فيها أيضًا ليست واحدة، وبالتالي فهي لغة لا لهجة.

---

(١) من لهجات مهرة وآدابها، ص(ر).

٢ . اختلفَ اصطلاح الباحثين في الألسن التي وُجدتْ في جنوب جزيرة العرب، فمنهم من اصطلح عليها باللهجات العربية الجنوبية، ومنهم من قال: اللغات العربية الجنوبية، وقد أضحى الاصطلاح الأخير أقرب إلى الإقناع، بخاصة بعد أن أثبتت النقوش وجود بعض الفروق بين تلك الألسن.

٣ . إذا ثبت لدينا أنّ المهرية وُجدت منذ عصور قديمة وأزمنة مديدة، وقد أثّرت بغيرها وتأثّرت، فالمفهوم العلمي اللغوي الحديث يجعلها لغة، إذ غدت بيئة أوسع وأشمل، وأكثر اختلافًا من ما جاورها من البيئات،وعندما أرى أنّ المهرية لغة لا أفصلها بالطبع عن محيطها العربي، قطعًا : لا، إذ هي عربية عربية ، لا يمكن أن ينكر ذلك منكر، أو يزيّف ذلك مزيّف، غير أنّ السؤال الذي ينبغي أن يُطرح: أي عربية هي؟

المبحث الثاني

اللغة المهرية في مصادر التراث العربيّ .. نظرة عامة

تُرجع بعض المصادر التي عنيت بتاريخ اللغة والأدب اللغة المهرية إلى الحميرية وتجعلها من بقاياها، ومن هذه المصادر تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي الذي قال ضمن حديثه عن مجانسة اللغة العربية لأخواتها الساميات[1]: "لم يبق من أمهات اللغات السامية إلاّ ثلاث: العربية، والعبرانية، والسريانية، أما الحميرية فقد اندثرت قبل الإسلام غير ألفاظ قليلة، وتولدت منها لهجات **مهرة والشحر**[2] في جنوب الجزيرة، وقد عثروا من هذه اللغة على آثار من القرن الخامس والسادس قبل الميلاد وتمكنوا من قراءة الخط المسند. أما اللغة البابلية أو الأشورية أو الكلدانية القديمة، فقد وُفّقوا في قراءة آثارها، حتى استخرجوا قواعدها ووضعوا فيها المعجمات كأنها من اللغات الحية، وصيغ الأفعال التي وجدوها في هذه اللغة اثنتا عشرة صيغة أكثرها موجود في العربية والعبرانية والسريانية، وبعضها غير موجود في جميعها، ولكنه طبيعي في أصل المنطق، مما يدل دلالة صريحة على أصالة تلك اللغة وتفرع الباقيات عنها" [3].

---

(١) يُطلق مصطلح الساميات أو اللغات السامية على لغات الشعوب التي سكنت قديمًا وتسكن شبه الجزيرة العربية، واليمن، والحبشة، وبلاد الشام، والعراق، طبقًا لتقسيم علماء اللغة للفصائل اللغوية في العالم. وأول من أطلق اسم (اللغات السامية SemeticLanguages) هو اللغوي الألماني شلوتسر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي سنة ١٧٨١م.وقد استقى هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب الموجود في العهد القديم، حيث تنسب هذه اللغات إلى سام بن نوح عليه السلام.

(٢) الشحر في لسان العرب: الساحل الممتدّ من مسقط إلى عدن. ينظر: لسان العرب، مادة (شحر).

(٣) تاريخ آداب العرب ١/٥٥.

وتتناقل بعض المصادر اللغوية العربية القديمة عددًا من الألفاظ المنسوبة إلى لغة مهرة، ولا تظهر فيها هذه الألفاظ فصيحةً ممدوحة، بل هي مذمومة مرغوب عنها، من ذلك ما ورد في لفظة (ثَحَجَ)، إذ جاء عن ابن سيده (ت ٤٠٨ هـ): "ثحَجَه بِرجلِهِ ثحْجًا، ضربه، **مهريةٌ مَرْغُوبٌ عَنْهَا**"[١]، وتكرّر الحكم عند نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) في شمس العلوم إذ قال: "الثَّحْجُ: **لغةٌ مرغوب عنها لَمهْرَةَ بنِ حَيْدان**، يقولون:ثَحَجَه برجله: إذا ضربه بها"[٢]. ومن أرباب المعاجم من ذكر لها معاني غير الضرب دون أن يتغيّر حكمه على فصاحتها؛ قال ابن منظور (ت ٧١١ هـ): "ثَحَجَهُ بِرِجْلِهِ ثَحْجاً: ضَرَبَهُ، **مَهْرِيَّةٌ مَرْغُوبٌ عَنْهَا... وثَحَجَهُ إِذا جَرَّهُ جَرّاً شديدًا**"[٣]، والمعنى ذاته في تاج العروس[٤]. ومن الباحثين المعاصرين من استشهد بهذه اللفظة للدلالة على ظاهرة موت الألفاظ في العربية، قال الدكتور عبد الرزاق الصاعدي: "الرّديء والمذموم والقبيح والخبيث والمرغوب عنه:كلّ ذلك من اللّغات، وهو أقبحها وأنزلها درجة، كالكشكة، والعنعنة، والفحفحة، والاستنطاء، ومنه في الألفاظ: الطَّعْسَفَةُ، قال ابن دريد:وهي لغة مرغوب عنها؛ مرّ يطعسف في الأرض، إذا مرّ يخبطها، ومنه قولهم: غَلَقْتُ الباب غلقاً، وهي لغة رديئة متروكة، **وثحجه برجله ثحجاً: ضربه بها، مهريّة**

---

(١) المحكم ٦٥/٣.

(٢) شمس العلوم ٣٢٨/٢.

(٣) لسان العرب ٢٢٢/٢.

(٤) ينظر: تاج العروس ٤٤٧/٥.

مرغوبٌ عنها، ويقال: الفِصّ بالكسر- لغة في الفصّ، وهي أردأ اللّغتين، ويقال: مِنتن -بالكسر- وهي رَديئة خبيثة"[1].

والحقّ أنّ ما جعل علماء اللغة الأوائل يحكمون على هذه اللفظة – وغيرها ممّا سيأتي عليه البحث – بالرداءة والذم والقبح أنّهم قابلوها بالمستوى اللغوي الفصيح، فكلّ ما لم يوافقه عندهم مرغوب عنه، وأبلغ دليل على ذلك أنّهم أنزلوا بعض الظواهر اللهجية العربية التي وُجدت منذ القدم كالكشكشة نحو (أبوش) في أبوكِ، والاستنطاء نحو (أنطى) في (أعطى)، أنزلوها درجةً في الفصاحة، على الرغم من تجاوزها حدود الزمان وبقائها مستعملةً إلى أيامنا هذه في بعض مجتمعات جزيرة العرب.

وتنضاف إلى هذه اللفظة لفظةٌ ثانية رآها المعجميون العرب المتقدمون مرغوبًا عنها هي (عَزْوَى وتَعْزَى) التي تشير إلى التلطف أو الاستعطاف، وقد ذكر هؤلاء لمادة (عَزَوَ) معاني عدة ثم أتوا على اللفظة المهرية، قال ابن دريد: "والعَزو: **لُغَة مَرْغُوب عَنْهَا يتكلّم بهَا بنو مَهْرَة بن حَيْدان**، يَقُولُونَ: عَزْوَى، كَأَنَّهَا كلمة يُتلطّف بهَا، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: يَعْزِي، والعَزْو: مصدر عزوتُ الشيء إلى الشَّيء أعزوه عَزْواً، إذا نسبته إليه، وقالوا: عَزَيْتُه أعزيه عَزْياً، لُغَتَانِ فصيحتان. وأوعزتُ إِلَى الرجل أوعِز إيعازاً، إِذا تقدّمتَ إِلَيْهِ بِأَمْر أَو أَمرته بِهِ"[2]. وحكم الليث (ت ١٧٥ هـ) على هذه اللفظة فقال: "**كلمة شنعاء من لُغَة أهل الشِّحْر** يَقُولُونَ: يَعْزَى ما كان كذا وكذا كما نقول

---

(١) موت الألفاظ في العربية ، ص (٣٦١).

(٢) جمهرة اللغة ٢/٨١٨.

نحن: لعمري لقد كَانَ كَذَا وَكَذَا"[١]، وأضاف الأزهري (ت ٣٧٠ هـ): "العَزْو لُغَة مَرْغُوب عَنْهَا يتكَلَّم بهَا بَنو مَهْرَة بن حَيْدان يَقُولُونَ: عَزْوَى كأنّها كلمة يتلطّف بهَا، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ يعزى، قَالَ: وَبَنُو عَزْوان حَيّ من الجنّ، وَالْعرب تَقول: إِن النعام مراكب الجنّ"[٢]. وذكر ابن سيده هذه اللفظة ومعانيها ناسبًا معنى الاستعطاف فيها لمهرة بن حيدان دون أن يعدّها مذمومة؛ قال: "العِزَةُ: عصبَة من النَّاس وَالْجمع عِزُونَ، وعَزا الرجل إِلَى أَبِيه عَزْواً: نسبه، وإِنَّه لحسن العِزْوَةِ، وعَزَا هُوَ إِلَيْهِ واعْتزَى وتَعَزَّى، كُله: انتسب صدقا كَانَ أَو كذبا وَالاسم العِزْوَةُ، وَقد تقدم ذَلِك فِي الْيَاء. وعِزْوِيتٌ: مَوضِع، وَإِنَّمَا حكمنا بِأَنَّهُ فِعْلِيتٌ لوُجُود نَظِيره وَهُوَ عفريت ونفريت، وَلَا يكون فعْويلاً لأَنَّه لَا نَظِير لَه. وعَزْوَى ويَعْزَى، كلمة استعطاف تكلم بهَا مهرَة بن حيدان"[٣]. ومن المتأخرين من تابع المتقدمين كالزبيدي (ت١٢٠٥هـ) الذي قال: "وعَزْوَى وتَعْزَى: كلمتا استعطافٍ، **وهي لغةٌ لمهرة بن حيدان مَرْغوبٌ عنها**، ونصّ ابنِ دُرَيْدٍ فِي الجَمْهرةِ: والعَزْوُ لُغَةٌ مَرْغوبٌ عَنْهَا يَتكلّم بهَا بَنُو مَهْرَة بنِ حَيْدانَ، يقولُونَ: عَزْوَى، وَهِي كلمةٌ يُتَلَطَّفُ بهَا، وكذلكَ يقُولونَ: يَعْزى"[٤].

وما قيل في لفظة (ثحج) يُقال هنا في لفظتي (عزوى وتعزى)؛ إذ إنّ الاحتكام إلى المستوى اللغوي الفصيح هو الذي أخرجها من دائرة الفصاحة،

---

(١) تهذيب اللغة ٦٣/٣. وينظر: لسان العرب ٥٤/١٥.

(٢) السابق والصفحة نفسها.

(٣) المحكم ٣٠٧/٢.

(٤) تاج العروس ٣٨/٣٩.

وأدخلها في دائرة الذم والقبح، بل جعلها على حدّ تعبير بعض اللغويين العرب المتقدمين كلمة شنعاء، والحقّ أن الحكم على هذه الألفاظ بالبعد عن المستوى الفصيح هو الأدقّ علميًّا بدل الحكم عليها بالشناعة، ولنا في العلاّمة ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي خير مثال، فعندما تناقشا في لفظة (حُوريتْ)، ولم يخرجا بطائل قال الشيخ: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة ابني نزار – أي مضر وربيعة – فلا ينكر أن يجيء مخالفًا لأمثلتهم[1]. وهذا الوزن (فعليت) مازال مستعملاً في المهرية إلى أيامنا هذه وبكثرة، نحو (قتبيت – حكبيت).

وهذه لفظة ثالثة حُكم عليها بأنّها مرغوب عنها أيضًا وهي (الزفن) التي تحمل معنى الرقص، جاء في جمهرة اللغة: "الزَّفْن شَبيةٌ بالرَّقْص، زَفَنَ يزفِن زَفْناً، وَقد سمّت الْعَرَب زَوْفَناً، وزَيْفَن: **اسْم فِي لُغَة مرغوب عَنْهَا، يَعْنِي لُغَة مَهْرَة**. والزِّفْن لُغَة أزدية، وَهُوَ عَسيب من عُسُب النّخل يُضَمّ بعضُه إِلَى بعض شَبِيها بالحصير المرمول. وَقد سمّت الْعَرَب زَيْفَناً" [2]. والحقّ أنّ هذه اللغة المرغوب عنها عند ابن دريد قد وردت في حديث عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – عند قدوم وفد الحبشة إلى المدينة، وفيه : (فجعلوا يزفنون) أي: يرقصون، والحديث في البخاري في مواضع عدة منها (٤٥٥ – ٩٥٠ – ٩٨٨ – ٢٩٠٧)، وهو عند مسلم (٨٩٢)، كما أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٥٨)، والطبراني في الأوسط (٩٣٠٣).

---

(١) ينظر: الخصائص ٢/٣١٠.

(٢) جمهرة اللغة ٢/٨٢١.

ولم يتوقف هذا الحكم عند اللغويين بل تعداهم إلى الجغرافيين على نحو ما نرى عند الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) في كتابه صفة جزيرة العرب، إذ نعت (مهرة) بعدم الفصاحة والغتمة ومشاكلة العجم في معرض حديثه عن لغات أهل الجزيرة العربية، ولم يأتِ حكمه هذا خاصًّا بالمهرية فقط، بل ضمن سلسلة أحكام أطلقها على لغات جنوب الجزيرة، حيث قال: "أهل الشحر والأسعاء[١] ليسوا بفصحاء، **مهرة غتم يشاكلون العجم**، حضرموت ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصَّدف[٢]، سرو مذحج ومأرب وبيحان وحريب فصحاء ورديء اللغة منهم قليل، سرو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير، ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون: يا بن معم في يا بن العم، وسِمَع في أسمع، لحج وأبين ودثينة أفصح، والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم، عدن لغتهم مولدة رديئة ..." [٣].

وقد أتى هذا الحكم من الهمداني منقولاً عن شخصٍ ما، إذْ هو لم يصل إلى هذه المناطق مطلقًا، ولم يلتق بسكانها ويشافههم، بل إنّ تلك الأقوال والأمثال لم تُنقل من ألواحٍ مكتوبة بخط المسند، وإنّما وصلت إليه شفاهًا عن طريق الرواية فدوّنها كما هي[٤]. يُضاف إلى ذلك أنّ الهمداني كان قد أهمل

---

(١) الأسعاء: مدينة، وموقعها اليوم مدينة الشحر على ضفاف بحر العرب.

(٢) الصَّدف: بتشديد الصاد وفتحها قبيلة من أقدم قبائل حضرموت، وقد ورد اسمها في بعض نقوش الآثار القديمة، وتُنسب إلى كندة.

(٣) صفة جزيرة العرب، ص ١٣٤/١.

(٤) يُراجع كتاب: في لغة أهل اليمن لعُباد علي الهيّال ص (٣١).

أمرًا في غاية الأهمية، فلم يأخذه بالحسبان، ألاَ وهو الانعزال، فمهرة الذين وصفهم بالغتمة والعجمة منعزلون في أماكن سُكناهم في الشّحر، وبانعزالهم انعزلت معه لغتهم، ومن غير المنطقي أن نقابل لسانهم باللسان العربي الفصيح الذي بدأ يتغلغل فيهم شيئًا فشيئًا.

ومن المعاصرين الذين عنوا بالردّ على الهمداني محمود فهمي حجازي، إذ رأى أنّ الهمداني صوّر الحياة اللغوية في أوائل القرن الرابع الهجريّ معتمدًا على معيار (اللغة الفصيحة) وراح ينعت ما خالفها بالعجمة أو الغتمة، قال: "يتضح من عبارات الهمداني صورة التنوع اللغوي في الجزيرة العربية آنذاك. لقد قاس الهمداني اللهجات واللغات المختلفة في الجزيرة العربية وفق معايير العربية الفصحى، فبقدر بعد اللهجة من الفصحى تكون هذه اللهجة رديئة. إننا نلاحظ من وصف الهمداني لطبيعة التنوع اللغوي في الجزيرة العربية في أوائل القرن الرابع الهجري عدة أنماط لغوية، ففي أقصى الجنوب وبالتحديد في منطقة الشحر لاحظ الهمداني أن أهلها ليسوا بفصحاء، مهرة غتم يشاكلون العجم، **والواقع أنهم يمثلون جماعة لغوية متميزة لغتها الأولى هي اللغة المهرية وليست اللغة العربية، فالعربية بالنسبة لهم لغة تُكتسب تعلمًا كما تكتسب أية لغة أجنبية أخرى.** ولاحظ الهمداني أن منطقة حضرموت القريبة من منطقة المهرة تسودها لغة ليست بفصيحة، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان، ومعنى هذا أن منطقة حضرموت كانت قطعت في ميدان التعريب بعربية الشمال شوطًا بعيدًا، وأن قبيلة كندة بصفة خاصة كانت قد تعربت بدرجة أكبر، ومعنى هذا بالنسبة لعربي مثل الهمداني أنه كان يستطيع التعامل مع أبناء قبيلته بلغته العربية ويستطيع كذلك التعامل مع أبناء قبيلة كندة بالعربية أيضًا، **بينما يصعب عليه أن يفهم كلام أهل**

الشحر، **فلغتهم هي اللغة المهرية**. ويعكس وصف الهمداني لبعض اللهجات بأنها غير فصيحة أن هذه اللهجات عربية شمالية ولكنها تختلف اختلافًا بيِّنًا عن العربية الفصحى.وقد ذكر الهمداني إلى جانب لغة المهرة لغة أخرى تختلف عن العربية الشمالية، وهي اللغة الحميرية... ومن هذا كله يتضح أن القرن الرابع الهجري عرف جماعات بشرية تتعامل في اليمن بالمهرية، وأخرى باللسان الحميري، وجماعات أخرى أخذت تتعرب بعربية الشمال. لقد كان الهمداني يعلم أن منطقة اليمن عرفت لغة أخرى غير العربية الشمالية، وأن هذه اللغة الحميرية تركت أثرًا في استخدام اليمنيين المتعربين بعربية الشمال، فعندما تحدث الهمداني عن سرو حمير وجعدة ذكر أنهم: ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير... فيقولون: يا بن مَعَم في يا بن العم، وسِمَع في اسمع، وبهذا تعربت بعض الجماعات البشرية بعربية الشمال متأثرة بلغتها الأولى العربية الجنوبية" [1].

إنّ الرأي الذي يُطمأنّ إليه هنا أنّ أحكام اللغويين العرب المتقدمين فيما يخص المهرية وألفاظها أحكامٌ كانت تستند إلى معيار اللغة العربية الفصيحة، فجعلوا ما خالفها غتمة وعجمة، وكان الأحرى بهم النظر إلى هذا اللسان باعتباره تنوعًا لغويًّا فرضته الجغرافيا، وضرورةً لا يمكن الاستغناء عنها عند متكلميها، ومرحلةً قديمةً من مراحل اللسان العربي، وأبلغ دليل على ذلك بقاء المهرية إلى أيامنا هذه.

---

(١) علم اللغة العربية... مدخل تاريخي في ضوء التراث واللغات السامية، ص (٢٦١-٢٦٢).

المبحث الثالث

بعض العناصر اللغوية القديمة في المهرية

إنّ من يجيد المهرية تحدثًا وفهمًا يلفت سمعه بين الحين والآخر عددٌ من العناصر اللغوية التي قد تقترب في بعض الأحيان من العربية الفصيحة، وقد تبتعد عنها في أحايين أخرى، وإذا أتيحت لذلك السامع فرصة الاطلاع على بعض كتب اللغة فقد يصل إلى تفسيرٍ لبعض ما قد يُسمع، إذ سيجد تفسيرًا لهذه اللفظة: لَمَ نُطقت هكذا؟ ولتلك: لَمَ اتصلت بها هذه اللاحقة؟ وللثالثة: لَمَ قُلب فيها الحرف من كذا إلى كذا؟ وحينها قد يبدأ الغموض بالانجلاء والسر بالانكشاف.

تسوق بعض كتب اللغة وكتب الساميات افتراضات علمية مفادها: أنّ في المهرية عددًا من العناصر اللغوية القديمة ومن لغات عتيقة، وسأسعى في السطور الآتية إلى إثبات صحة هذه الافتراضات متكئًا على الاستعمال اللغوي المعاصر.

العنصر الأول: ضمير الغائبة: ذكر حسن ظاظا في كتابة (الساميون ولغاتهم) ما نصّه: "كذلك هناك تطور من ناحية اللفظ، فبعض حروف الصفير مثل السين تحل في هذه – حديثه عن اللغات اليمنية القديمة – محل الهاء في الضمير المنفصل، فحيث يقال في العربية الفصحى: هو وهي كان يقال في العربية الجنوبية: سو وسي، وهو تطور سارت فيه البابلية والآشورية

على تقادمها في العهد، إذ نجد: شو وشي" [١]. ومن يَعُد أيضًا إلى المعجم السبئي يجد في مقدمته تصريحًا بهذا التغير الذي تقلب فيه هاء ضمير الغائبة سينًا[٢]. والحق أنّ المهرية مازالت تحتفظ بنطق ضمير الغائبة (سي) بمعنى (هي) إلى يومنا هذا، أمّا ضمير الغائب فهو فيها (هِهْ)، والطريف أنّ هذا التغيّر الصوتي انتقل في المهرية أيضًا إلى بعض الأفعال نحو: (هْرُوقْ) بمعنى (سرق)، وإلى بعض الأعداد؛ فـــ (ست) في المهرية (هِتْ)، و(سبع) فيها (هُوبَعْ).

العنصر الثاني: وزن التعدية: قال الدكتور محمود فهمي حجازي: "ومن السمات الأساسية في اللهجة السبئية استخدام الهاء في عدد من الصيغ الصرفية؛ فوزن التعدية في العربية الشمالية (أفعل) يقابله في السبئية (هفعل)"[٣]. وإذا ما عدنا إلى اللغة المهرية فسنجد أنّ هذا الوزن يبدأ حقًّا بالهاء مع تغيير طفيف يطرأ على وزن الفعل في بعض الأحيان حيث تُمطل (تُمدّ) حركة الضمة فتتحول إلى واو، مثل:

هِبْدُولْ	بمعنى	أبدلَ
هِكْثُورْ	بمعنى	أكثرَ
هُوتور	بمعنى	أضاعَ

---

(١) الساميون ولغاتهم .. تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، ص (٣٤).

(٢) المعجم السبئي، ص (٩).

(٣) علم اللغة العربية .. مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ص (١٨٥).

هِرْضُهْ بمعنى أرضى

وهكذا

وينبغي التنويه هنا إلى أنّ الضاد في المثال الأخير تخرج في المهرية انحرافيةً جانبية احتكاكية فيها شيء من التفشي، وهذا النطق حقيقةً يتطابق مع ما أورده سيبويه في كتابه عند حديثه عن مخرج الضاد وصفته [١]، والحديث بتفصيلاته عن هذه الضاد مذكور في كتاب (اللغة المهرية المعاصرة بين عربيتين)[٢].

العنصر الثالث: أداة التعريف: تذكر كتب علم اللغة التي عنيت بالحديث عن الساميات أنّ الهاء كانت أيضًا عنصر تعريف في السامية الأم [٣]، كما تذكر بعض المصادر أنّ العربية الجنوبية عرفت (الهاء) و (هل) و (هن) و (أم) عناصر للتعريف[٤]. واقترح الدكتور جواد علي تقسيم العربيات إلى ثلاث مجموعات حسب أداة التعريف المستخدمة فيها وهي:

- مجموعة (ال) للعربية الشمالية (الفصحى اليوم) لأنّ أداة التعريف فيها هي (ال) في أول الاسم.
- مجموعة النون أو (انْ) للعربية الجنوبية لأنّ أداة التعريف فيها هي (ن– ان) في آخر الاسم.

---

(١) كتاب سيبويه ٤/٤٣٢.

(٢) ينظر الصفحة (٢١) وما بعدها.

(٣) علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص (٢٤٢).

(٤) ينظر: الساميون ولغاتهم، ص (١٤٣).

● مجموعة الهاء للحيانية والثمودية والصفوية لأنّ أداة التعريف فيها هي الهاء في أول الاسم[1].

وإذاما طلبنا هذا العنصر في اللغة المهرية فسنجد أنّ الهاء هو الحاضر في الاستعمال، وكأنّ المهرية قد تأثرت بالسامية الأولى وما تفرع عنها من لحيانية وثمودية وصفوية، وابتعدت هذه المرة عن الحميرية، فقالت:

هَيْذِينْ	بمعنى	الأُذن
هِجْبَعْ	بمعنى	الأصبع
هِيغْرَيْب	بمعنى	الغراب

والأمثلة على ذلك كثيرة، فكأنّ الهاء في هذه الأمثلة قد حلّت محل أداة التعريف (أل) .

العنصر الرابع: العددان (١ – ٢): تحدثت المصادر اللغوية وكتب الساميات عن نظام الأعداد، وذكرت أنّ اللغات السامية تتفق اتفاقًا شبه كامل في الأعداد من ٢ – ١٠[2]، بيد أنّ الكلمة الخاصة بالعدد واحد تختلف في لغتين هما الأكادية والمهرية عن مثيلاتها الساميات[3]، وذكر حجازي في معرض تعليقه على العدد واحد في اللغة المهرية ما نصّه: " أمّا في

---

(١) ينظر: المفصّل في تاريخ العرب لجواد علي ٦٧٣/٨.

(٢) يُراجع: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص (١٩٥).

(٣) ينظر: علم اللغة العربية، ص (١٥٠).

المهرية فكلمة واحد يُعبّر عنها بكلمة (طاد) للمذكر و (طيط) للمؤنث"[١].

ويجدر بنا أن نذكر هنا أنّ الاستعمال المعاصر يُظهر النطق الدقيق للعدد واحد بـــ (طَاطْ) وليس (طاد)، و (طيتْ) وليس (طيط)، كما يجدر بنا أن نذكر أنّ العدد (اثنان) هو في المهرية (ثْرُهْ) للمذكر و (ثْريتْ) للمؤنث، وبذلك فهو لا يتوافق مع اللغات السامية، ممّا يجعل القاعدة تُصاغ من جديد على النحو الآتي: الكلمتان الخاصتان بالعددين (١– ٢) في المهرية تختلفان عن باقي الساميات.

العنصر الخامس: استعمال (بر) بدل (بن): يشيع في اللغة المهرية استعمال كلمة (بر) فيقال: فلان بر فلان، أي: فلان بن فلان، ولا يستعمل المهريون (بن) إلاّ إذا تحولوا إلى المستوى الكلامي الفصيح، وهذا الاستعمال منسوب في المصادر إلى الآراميين[٢]، ونسبه حجازي إلى المهرية أيضًا فقال: "أمّا كلمة (بن) فقد وُسّعت صيغتها بألف الوصل، وتظهر هذه الكلمة بالباء والنون في الآشورية والعبرية والعربية، ولكنّها في الآرامية والمهرية بالباء والراء"[٣].

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ من اللغويين العرب المتقدمين من لمح هذا التغير ونسبه للآراميين أيضًا، فهذا كراع النمل (ت ٣١٠ هـــ) قد قال: "والبرسام

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية، ص (١٥٠).

(٢) ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، ص (٥٥). والآراميون من الشعوب السامية وموطنهم وسط وشمالي سوريا.

(٣) علم اللغة العربية، ص (٢٠٦).

: داء، وأصله بالسريانية: ابن الموت، لأنّ (بر) عندهم الابن، و(سام): الموت، يوافقون فيه لغة العرب" [١]. وقال أيضًا: "ويقال أيضًا: ما أدري أي البرنساء هو؟ أي: الناس هو، ويقال: إنّها كلمة سريانية لأنّ (بر) عندهم الابن، و(نسا) هو الإنسان" [٢].

العنصر السادس: اختفاء صوت العين أو قلبه: ذكر موسكاتي أنّ العربية الجنوبية تحوّل العين إلى همزة، ونسب هذا التغيّر إلى لهجة حضرموت ذاكرًا المثال: أدّ بدلاً من عدّ [٣]. وتحدّث محمود فهمي حجازي عن اللغة الأكدية، فجعل اختفاء صوتي العين والحاء من التأثيرات التي حصلت فيها [٤]، وذكر في موضع سابق لهذا الموضع ما نصّه: "ففي العربية الشمالية والعربية الجنوبية نجد نفس أصوات الحلق كاملة غير منقوصة، أمّا في المهرية – وهي امتدادٌ حديث للعربية الجنوبية القديمة – فإنّا نجد هذه الأصوات عدا صوتًا واحدًا؛ لأنّ المهرية تخلو من العين كصوت متميز" [٥]. وإذا عدنا إلى الاستعمال المهري المعاصر فسنجد من الناس من يقول:

أبد الله	بدلاً من	عبد الله
ألــي	بدلاً من	عــلــي

---

(١) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٢٦٧).

(٢) السابق، ص (٢٧٠).

(٣) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص (٧٩).

(٤) ينظر: علم اللغة العربية، ص (١٥٥).

(٥) السابق، ص (١٤١).

أَيْــن بدلاً من عــيــن

غير أنّه ينبغي التنويه إلى أنّ هذا التغير الصوتي لا يعم المهرة جميعها، فثمة تجمعات تقول: عبد الله، وعلي، وعين. كما يجدر بنا أن نوضّح أنّ هذا التغيّر الصوتي إنّما هو تغيّر طارئ الغرض منه هو التخفيف.

العنصر السابع: لاحقة التأنيث (وت) و(يت): افترض بعض علماء الساميات أنّ هذه اللاحقة إذا وُصلتْ ببعض الكلمات أنتجت أسماء معانٍ، والمقصود باسم المعنى: ما دلّ على معنى مجرد غير محسوس كالشجاعة والإصرار والحرية وغيرها. ودللوا على ذلك بأمثلة من الأكدية والسريانية والأثيوبية، كما ذكر بعضهم أنّها قد تكون مورفيمات مؤنثة [1]. وربّما صلح هذا الافتراض الأخير لتفسير عدد من الكلمات في المهرية اتصلت بها لاحقتا (وت) و(يت)، ومن الأمثلة:

سِيرُوتْ	بمعنى	سارتْ
جرِعوُتْ	بمعنى	شَربتْ
لِحْيِيتْ	بمعنى	لحيــة
حِبْرِيتْ	بمعنى	ابنـــة

---

(١) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص (١٤٣). والمورفيم: مصطلح يونانيّ يدل على أصغر وحدة لغوية صوتية مجردة لها معنى، فــ (أل) التعريف مورفيم، واو الجماعة مورفيم، وهكذا.

والحقّ أنّ هذا التفسير مقنع تمامًا، يثبته الاستعمال ويعضده دليل آخر هو: أنّنا لو حذفنا اللاحقة من الكلمة الأخيرة مثلا لصارت مذكرًا (حِبْرِ: بكسرة مخطوفة على الراء بمعنى: ابن).

العنصر الثامن: لاحقة المتكلم والمخاطب (الكاف): تستخدم العربية الفصيحة ولهجاتها التاء لاحقةً للمتكلم والمخاطب نحو: قلتُ وقلتَ، وهذه التاء قد ترد كافًا في بعض اللغات ومنها المهرية التي يُقال فيها مثلاً:

خَرَجْـكْ	بمعنى	خرجتُ أو خرجتَ
جِـرْعَكْ	بمعنى	جرعتُ و جرعتَ
وِصْلِـكْ	بمعنى	وصلتُ أو وصلتَ
شُوكَفْكْ	بمعنى	نمتُ أو نمـتَ
خِثْمِكْ	بمعنى	نَحلتُ أو نحلْتَ

يفترض الباحثون أنّ هذا الاستعمال راجع إلى السامية الأولى، "وأنّ العربية والعبرية اختلفتا بذلك من هذا الجانب عن اللغة السامية الأم، ويقوم هذا الرأي على أساس أنّ (الكاف) كانت ضمير المخاطب، وأنّ التاء كانت ضمير المتكلم في اللغة السامية الأم، ثمّ استخدمت العربية التاء للمتكلم والمخاطب، وميّزت بعد التاء بالضمة والفتحة والكسرة بين الصيغ المختلفة"[1]، وكما أنّ العربية مالت إلى استعمال التاء ضميرًا للمتكلم

(١) علم اللغة العربية، ص (٢٠٥).

والمخاطب، مالت المهرية على ما يبدو إلى الاحتفاظ بالكاف للاثنين معًا، لكن من غير وجود علامة فارقة بينهما – كما هو شأن العربية – عدا السياق، فهو الكفيل بتبيان ما إذا كانت هذه الكاف المتصلة للمتكلم أو للمخاطب.

واللافت للنظر أنّ استعمال الكاف لاحقةً للمتكلم والمخاطب ثابت في لغة النقوش اليمنية القديمة [1]، وهو استعمال شائع إلى يومنا هذا في مناطق متفرقة من اليمن، منها تعز وإب وردفان وغيرها، ممّا يؤكد أنّه من بقايا اللغات الجنوبية القديمة التي لها امتداد بغيرها من لغات الجزيرة العربية.

العنصر التاسع: لاحقة جمع الفعل (الميم): يُجمع الفعل في اللغة العربية بإضافة لاحقة الجمع (واو الجماعة) نحو: ذهبوا، وأكلوا... وفي لغات سامية كالأوغاريتية[2]، والعبرية، والأثيوبية يُجمع الفعل بإضافة لاحقة هي (الميم)[3]، والأمر ذاته ينطبق على المهرية اليوم، إذ يقول أهلها:

صَدْوُقِم	بمعنى	صدقوا
نِجْـــحِم	بمعنى	نجحوا
ثْبُـــورِمْ	بمعنى	كسروا

---

(١) ينظر: نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمة الشمس، ص (١٢).

(٢) هي لغة سامية استُخدمت في مدينة أوغاريت القديمة، وهي حاليًا رأس شمرة بسوريا، وتعود إلى المسمارية، ويعدّ الباحثون أبجديات هذه اللغة من أقدم وأكمل الأبجديات التي استُعملت حوالي ١٥٠٠ ق.م ، وقد عاصرت هذه اللغة الأكادية والسومرية.

(٣) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص (٢٣٥ – ٢٣٦).

ويذهب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أنّ لاحقة الجمع هذه صيغة جديدة في اللهجات العربية الحديثة لها قياس في العاميات العربية قديمًا، قال: "وهذه الصيغة الحديثة مقيسة على صيغة الماضي لجمع المخاطبين، والضمير المنفصل لجمع الغائبين (هم)، ومثل هذا تمامًا ما حدث في اللهجات العامية العربية مثل قولنا في مصر مثلاً: جُمْ، وكُلُمْ، وشِربُمْ بمعنى: جاءوا، وأكلوا، وشربوا، فهذه الميم الأخيرة في هذه الأمثلة ونحوها مقيسة بلا شك على صيغة الخطاب: جئتم، وأكلتم، وشربتم، وهذا القياس حاصل في العامية العربية من قديم، فقد قال الزجاجي اللغوي (ت ٣٣٧ هـ): هاتوا يا رجال، فأمّا قول العامة: هاتم ، فخطأ ليس من كلام العرب" [(١)].

كانت هذه بعض العناصر اللغوية القديمة التي احتفظت بها لغة المهرة أزمانًا مديدة وحقبًا عديدة، تغيّرت فيها اللغات واندثرت الألسن، وبقيت فيها المهرية. والحق أنّ تلك العناصر وما حوته من تفصيلات ستقود إلى تسجيل الملحوظتين الآتيتين:

١. قدرة المهرية الطويلة على الاكتساب دليل عراقة، إذ لا يمكن للغة تجمع هذه العناصر أن تكون حديثة وليدة الأمس، بل القياس يقتضي أن تكون قديمة تليدة.

٢. لم يكن الهدف من عرض تلك العناصر الحديث عن فكرة التأثير والتأثر، بل كان المبتغى عرض فكرة التشابه ليس غير، دون خوضٍ في السؤال: من تأثر بالآخر؟ أو الإجابة عنه.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص (٢٧٢).

المبحث الرابع

مفرداتٌ مهريةٌ مرتدةٌ إلى أصلٍ عربيٍّ فصيحٍ (نماذج دالة)

مضى القول في بعض العناصر اللغوية القديمة في المهرية، والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هنا: إذا كانت هناك أوجه من التلاقي بين المهرية وغيرها من اللغات السامية، فهل يوجد بينها وبين العربية الفصيحة تلاقٍ؟ الإجابة برأيي: نعم؛ إذ يُثبت الاستعمال المعاصر اليوم توافق المهرية مع العربية الفصيحة في بعض العناصر اللغوية كاستخدام لاحقة الياء والنون في العدد مثل عشرين وثلاثين، واستخدام لاحقة النون علامةً لجموع الإناث مثل (تْسيرِنْ) بمعنى تَسِرْنَ، كما يثبت توافقهما في ظواهر مثل: الإمالة نحو (سِيلم) في سالم، والإبدال، ومطل الحركات، وغيرها. والأهم من هذا وذاك أنّ المهرية مازالت تحتفظ بعدد من المفردات التي ترتد إلى أصل عربي مهجور اليوم في الاستعمال الفصيح، أخصص لها المساحة التالية من هذا الفصل، مرتبًا إيّاها ترتيبًا هجائيًّا، وبحسب الأصل الثلاثي أو الرباعي:

* بَرْبَرَ: "البربرة: الصياح، وهو رجل بربار مثل: الثرثار" [1]، ويقول أهل المهرة: (بِرْبُورْ) بمعنى: تكلم كلامًا غير مفيد وأكثر منه، وهي في الحقيقة (بربار) غير أنّ الألف أميلت إلى الواو فصارت (بِرْبُورْ)، ويقال أيضًا (بِربير) بمعنى: ثرثار، وقد تتوسع الدلالة إلى الجنون في بعض المناطق.

---

(١) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٢٦٤).

* **بَزَمَ**: "بزم على الشيء: قبض على الشيء بمقدم فيه" [١]. ويُطلق المهريون على اللثّة اسم (بْزُومْ)، وربّما وضُح هنا التقارب بين اللثة ومقدم الفم. على أنّه ينبغي ملاحظة أنّ هذه المفردة المهرية زيد إليها في النطق واو قبل الحرف الأخير، وهي ظاهرة لافتة بكثرة في المهرية، بخاصة في الأفعال، إذ يقال: صَدُوقْ، وخَرُوجْ، وهِبْدُولْ بمعنى: صدقَ، وخرجَ، وأبدلَ، فكأنّ نوعًا من مطل الحركة حدث بحيث مُدّت حركة الحرف السابق المضموم فصارت واوًا.

* **بَطَحَ**: قال ابن منظور: "بطحاء الوادي: تراب لين ممّا جرّته السيول، والجمع: بطحاوات وبطاح" [٢]، والتراب عند أهل المهرة: (بَطْحْ) والجمع (بِطْحَينْ)، وربّما تناسب هذا المسمى مع مكونات التربة في بلاد المهرة، إذ معظمها ترسبات طمي وغرين [٣].

* **بَطَلَ**: في لسان العرب: "سُمّي بطلاً لأنّ الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران" [٤]. والطريف أنّ المهريين يطلقون لفظة (بُوطِلْ) على الجبان لا الشجاع، فالصفة (باطل)، أي: يبطل عن لقاء غيره من الشجعان فيخاف ويتراجع، ثم أميلت الألف إلى الواو، فصارت الكلمة (بُوطِلْ).

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ص (٣٧٢).

(٢) لسان العرب ١/٤٤٠.

(٣) محافظة المهرة .. حقائق وأرقام، ص (٩).

(٤) لسان العرب ١ / ٤٤٤ .

* **تَغْتَغَ**: قال كراع النمل: "تغتغَ في الضحك تغتغةً إذا تبسّم" [1]. وقال نشوان: "تغتغَ: التغتغة حكاية صوت وضحك" [2]. وعند أهل المهرة (تِغْتَاغْ) بمطل الحركة: أسرف في الضحك وأكثر .

* **ثَبَرَ**: في نوادر أبي مسحل (ت ٢٣٠ هـ): "ويقال: ما أدري ما ثبرك عني؟ وغطاك وبظاك عني، معناه: حبسك" [3]، ونقل نشوان عن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) قوله: "يقال: ما ثبرك عن حاجتك؟ أي: حبسك عنها، والمثبور: المحبوس"[4]. ويقال في المهرية: (ثْبُورْ) بمعنى (كَسَرَ)، ويبدو أنّ مقاربة يسيرة ستبيّن أنّ المعنى ربما كان واحدًا أو قريبًا؛ ذلك أنّ (ثبركَ) في الاستعمال الفصيح: حبسك، وربّما تكون أيضًا: كسرك، فعندما يقول قائل: ما كسرك؟ يكون مقصوده أيضًا: ما منعك وحبسك؟ هذا من حيث المعنى، ومن حيث الوزن يُلاحظ أن الفعل (ثْبُورْ) قد مُطلت فيه حركة الباء، فصار الفعل أقرب إلى وزن (فعول).

* **ثَرَى**: في المجرّد: "وثريتُ التربة: بللتها، وثريتُ الإقط[5]: صببتُ عليه ماءً ثم ليّنته"[6]. وفصّل صاحب اللسان فقال: "ثرى فلانٌ الماء

---

(١) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٣٣٢).

(٢) شمس العلوم، ص (٥٠٢).

(٣) كتاب النوادر ٢٥٥/١.

(٤) شمس العلوم، ص (٥٧٣).

(٥) الإقط: لبن حليبٍ محمّض، يُجمد حتى يستحجر ويُطبخ، أو يُطبخ به.

(٦) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٣٦٠).

والسَوِيق[1] إذا بلّله، ويقال: ثِرْ هذا المكان ثم قف عليه: أي: بلّله، وأرض مثرية: إذا لم يجف ترابها، وفي الحديث: فأُتي بالسويق، فأمر به فثُرّي[2]، أي: بُلّ بالماء. وفي حديث عليّ عليه السلام: أنا أعلم بجعفر أنّه إنْ علم ثرّاه مرةً واحدةً ثم أطعمه، أي: بلّله وأطعمه للناس"[3]. وعند أهل المهرة (ثْرُهْ) بمعنى: بلّل، و(ثْرِيّمْ) بمعنى: بلّلوا وهكذا . ويشي قول ابن منظور أنّ لفظة (ثرى) بهذا المعنى من الفصيح المهجور في الاستعمال، بدليل أنّه فصّل موضعها في قوله، وأطنب في الشرح مستدلاً بحديثين شريفين.

* **ثَعَلَ**: قال نشوان: "ثُعالة: اسم الثعلب"[4]، وقال ابن منظور: "ثُعالة وثعل كلتاهما الأنثى من الثعالب، ويقال لجمع الثعلب: ثعالب وثعالي بالباء والياء"[5]. ويُطلق المهريون على الثعلب اسم (هِيثْعيْلْ) مستعملين المادة الثلاثية (ثعل) نفسها، ومضيفين عنصر التعريف (الهاء) في الأول، وياءً قبل الحرف الأخير.

---

(١) السويق: طعامٌ يُصنع من مدقوق الحنطة والشعير.

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري ٥٢/١ ، حديث رقم (٢٠٩).

(٣) لسان العرب ٦٦٩/١. ولم أقف على تخريج للحديث في كتب الصحاح غير أنّه مذكور في: الفائق في غريب الحديث ٢٥٩/١، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٠/١.

(٤) شمس العلوم، ص (٥٩٣).

(٥) لسان العرب ١ / ٦٧٤.

* **جَهَمَ**: جاء في نوادر أبي مسحل: "ويقال: جئتكَ بعد هدوء من الليل وجُهمة وجَهمة، كل ذلك بمعنى ساعة"[١]، وعن نشوان: "الجُهمة: آخر مآخير الليل. ويقال: جُهمة الليل: ما بين أوله إلى رُبعه، والقول الأول أولى لقوله:

وقهوةٍ صهبـــاء باكرتُها بُجُهمةٍ والديكُ لم ينعبِ"[٢]

وفي اللسان: "الجَهمة والجُهمة: أول مآخير الليل، وقيل: هي بقية سواد من آخره"[٣] ، ونقل بعد ذلك قول الأسود بن يعفر: وقهوةٍ صهباء .....

يُطلق أهل المهرة على لفظة (غدًا): (جِهْمَا)، والفعل (سافر) عندهم (جْهِيمْ). وتأسيسًا على ما ذُكر: ربّما كان (جَهْمَه) بمعنى (غدًا) أمرًا مقبولاً، لأنّه يدل على آخر لحظات الليل وأول ساعات الفجر ومن بعده النهار إيذانًا بيوم جديد. والأمر ذاته في الفعل (جْهِيمْ) الذي هو في الأصل (جَهِمَ)، ثم مُطلت فيه حركة الهاء المكسورة فصارت ياءً، وصار الفعل (جْهِيمْ) بمعنى: سافر، وكما أنّ قهوة الأسود بن يعفر تقتضي البكور، فإنّ السفر كذلك – كان عند أهل المهرة ومازال – يقتضي البكور والجهمة.

* **حَمَسَ**: قال ابن منظور: "الحَمَسَة: دابة من دواب البحر، وقيل: هي السلحفاة"[٤]. والسلحفاة في المهرية (حِمْسِيتْ)، فالمادة الثلاثية –

---

(١) كتاب النوادر ١/١٢.

(٢) شمس العلوم، ص (٨٣٩). والأصهب: ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض.

(٣) لسان العرب ٢ / ٢٤٧.

(٤) السابق٢ / ٥٩٣.

كما هو واضح – واحدة بين العربية الفصيحة والمهرية (حمس)، بيد أنّ علامة التأنيث في العربية كانت التاء المربوطة، وهي في المهرية الياء والتاء (يت)، كما سبق تفصيل ذلك عند الحديث في العناصر اللغوية القديمة في المهرية. وربّما وُجد تفسير آخر هو أنّ العربية الفصيحة تقف على التاء المربوطة بالهاء، وهو أمر معلوم على نحو ما هو وارد في (فاطمه) مثلاً، بينما وقفت الحميرية القديمة على التاء المربوطة بالتاء، فقالت على سبيل المثال:فاطمت بدل فاطمه، وعليه ربّما انطبق هذا التفسير على (الحمسة) في المهرية؛ فقيل فيها (حمست)، ثمّ مُطلت بعد ذلك حركة السين المكسورة فتولدت عنها الياء.

* حَوَرَ: "الاحورار في العين: شدة بياض بياضها وسواد سوادها. ويقال: بل هو أن يكون البياض محدقًا بالسواد، لا يغيب من السواد شيء، وإنّما يكون هذا في البقر فتستعير للناس"[١]. واللون الأسود عند المهرة (حُووِرْ)، فهل ثمة علاقة بين الحور والسواد؟ الإجابة باعتقادي: نعم؛ بخاصة إذا علمنا أنّ من معاني الحور أيضًا: "أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر"[٢].

* دَرَعَ: "الدُّراعة والمِدرع: ضربٌ من الثياب التي تُلبس، وقيل: جُبّة مشقوقة المقدَّم"[٣]. ويُطلق المهريون على القميص الذي يلبسونه عادةً مع

---

(١) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٨٢).

(٢) لسان العرب ٢ / ٦٥١.

(٣) السابق ٣ / ٣٣٨.

المئزر اسم (دِرَّاعِتْ)، وهي في الأصل لنوعٍ من القمصان قديم، لم تكن توجد فيه الأزرار كما هو الحال اليوم، بل كان مشقوق المقدَّم فقط. ويلاحظ هنا أنّ المهرية قد وقفت على التاء المربوطة في (دراعة) بالتاء، وهو استعمال تنسبه المصادر إلى حمير كما مضت الإشارة.

* **دَفَرَ**: قال ابن منظور: "الدفر: الدفع، دفرَ في عنقه دفرًا: دفع في صدره ومنعه، يمانية"، ثم نقل عن ابن الأعرابي قوله: "دفرته في قفاه دفرًا، أي: دفعته"[1]. ويقول أهل المهرة (دِفْرِي) بمعنى: دفعني، و(دْفَرْكْ) بمعنى: دفعتُ، و(دْفُورِمْ) بمعنى: دفعوا، وهكذا. وفي قول ابن منظور إشارة لطيفة إلى أنّ أصل الاستعمال يماني، ما يؤكد أن المهرية مازالت تحتفظ ببعض المفردات العربية الجنوبية القديمة.

* **دَوَلَ**: في المعجم الوسيط: "دال الدهر دولاً ودولة: انتقل من حال إلى حال، والأيام: دارتْ، والثوب: بلى". وفيه أيضًا: "الدَّويل: النبات اليابس الذي أتى عليه عام أو عامان، وكل ما انكسر من النبت واسودّ"[2]. ويصف المهريون الثوب القديم الخَلِق بـ (دْوِيلْ)، وجليّ أن الوصف يتطابق ومعاجم اللغة.

---

(١) لسان العرب ٣ / ٣٧٥ .

(٢) المعجم الوسيط ٣٠٤/١.

* رَبَحَ: ذكر كراع في المنتخب ما يلي: "ويقال للقرد: الحِبْن والرُّباح"[1]، والحق أنّ المهرية في استعمالها المعاصر اليوم لا تعرف للقرد اسمًا غير (الرّباح)، ولا يطلقون عليه أبدًا اسم (قرد).

* رَبَضَ: جاء في المنجّد: "والربوض في الغنم مثل البروك في الإبل، والرِّبْضة والرَّبيض: جماعة الغنم"[2]. ومازال أهل المهرة إلى اليوم يطلقون لفظة (رْبُوضْ) على الغنم الرابضة في مكان ما، كما قد يُطلقون هذا الفعل على جماعة الرجال أو النساء تندّرًا وسخرية. وملاحظ هنا أنّ الفعل في المهرية أخذ المادة الثلاثية ذاتها (ربض)، بيد أنّ حركة الباء ضُمّت ثم مُطلت فصارت واوًا، ليصير الفعل معها (رْبُوضْ) بضادٍ انحرافية جانبية احتكاكية فيها شيء من التفشي.

* رَحَضَ: "الرحض: الغسل، رحض يده والإناء والثوب وغيرها يرحضها رحضًا: غسلها. وفي حديث أبي ثعلبة: سأله عن أواني المشركين، فقال: إنْ لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء، أي: اغسلوها"[3]. وفي كتب اللغة المتقدمة أيضًا: "المرحاض: مشتق من الرحض، وهو الغسل، ولهذا قيل له المغتسل أيضًا"[4]. ويُطلق المهريون على فعل الغسل (رْحَاضْ) بمطل حركة الحاء المفتوحة، وضاد انحرافية، ولا

---

(١) المنتخب من غريب كلام العرب، ص (٤٥).

(٢) المنجّد في اللغة، ص (٢١٠).

(٣) لسان العرب ٤ / ٩٧. والحديث صحيح أخرجه الترمذي في السنن ٢٥٥/٤.

(٤) المنتخب من غريب كلام العرب، ص (٢٢).

يعرفون لهذا الفعل مرادفًا آخر، وبخاصة المشهور: غسل، فيقولون: (رْحاضْ) بمعنى: غسلَ، و(رْحَضْكْ) بمعنى: غسلتُ وغسلتَ، و(رْحَاضِمْ) بمعنى: غسلوا، وهكذا.

* **زَفَنَ**: ذكر ابن منظور عن هذه المادة الثلاثية ما نصّه: "الزفن: الرقص، زفن يزفن زفنًا، وهو شبيه بالرقص، وفي حديث فاطمة عليها السلام أنّها كانت تزفّن الحسن، أي: ترقّصه، وأصل الزفن: اللعب والدفع، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون، أي: يرقصون"(١). وعند أهل المهرة: (زْفُونْ) بمعنى: رقصَ، و(زْفَنْكْ) بمعنى: رقصتُ ورقصتَ، وهذا الاستعمال دليل آخر صريح ينضاف إلى ما سبقه في أنّ اللغة المهرية مازالت تحتفظ بمفردات عربية هُجرت في الاستعمال الفصيح.

* **سَبَتَ**: جاء في المعجم الوسيط: "السِّبتُ: كل جلد مدبوغ، ومنه النعال السبتية"(٢). ويُطلق المهريون على الحزام الذي يُثبّت المئزر (سِبْتِيتْ) بإضافة لاحقة التأنيث (يت)، وهذا الحزام غالبًا ما يكون من الجلد المدبوغ.

* **سَبَطَ**: قال أبو مسحل في نوادره: "ويقال: ضربته حتى تهوّر وتجوّر وتكوّر وارجحنّ وارجعنّ وارثغنّ، و أسبط وأبسط من قيمته وقامته وفومته

---

(١) لسان العرب ٤ / ٣٨٠.

(٢) المعجم الوسيط ١ / ٤١٢.

يعني: حتى صُرع وسقط"[1]. وقال كراع: "ويقال أسبط إسباطًا إذا لزق بالأرض من الضرب"[2]. فمن معاني (سبط) إذن الضرب، وعلى هذا قول المهريين: (سبُوطْ) بمعنى: ضربَ، و(سبَطْكْ) بمعنى: ضربتُ وضربتَ، و(سبُوطِمْ) بمعنى: ضربوا، وهكذا.

* **سَرَبَ**: جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من أصبح معافىً في بدنه، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها"[3]. وفي المعجم الوسيط: "السِّرب: الفريق من الطير والحيوان، ويقال: سرب من النساء على التشبيه بسرب الظباء"[4]. وفي المهرية يقال: (سِرْبيتْ) بإضافة لاحقة التأنيث (يت) للعائلة أو الأسرة في توافقٍ دلالي واضح مع العربية الفصيحة.

* **سَنَرَ**: تذكر لنا كتب اللغة ومعاجمها القديمة أنّ من المرادفات التي تُطلق على الهرّ: السنّور[5]، وجاء في المعجم الوسيط: "السنور: حيوان أليف من الفصيلة السنورية... وهي سنورة"[6]. وفي المهرية يقال

---

(١) كتاب النوادر ١ / ٩٧.

(٢) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (١٢٣).

(٣) الحديث حسن ينظر : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٢/٤٤٥.

(٤) المعجم الوسيط ١ / ٤٢٥.

(٥) ينظر على سبيل المثال:المنتخب من غريب كلام العرب ص (٤٥)، والمنجد في اللغة ص (٦٤)، ولسان العرب ٤/ ٧٠٨.

(٦) المعجم الوسيط ١ / ٤٥٤

للقطة: (سِنُّورِتْ) بإضافة تاء تمثل علامة للتأنيث، أو هي التاء المربوطة التي وُقف عليها بالتاء.

* **شَفَرَ:** قال ابن منظور: "شفر العين: منابت الأهداب من الجفون، والأشفار: حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب، وفي حديث سعد بن الربيع: لا عذر لكم إنْ وُصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفيكم شفر يطرف"(١). والهدب في المهرية (شْفِرْيِينْ) بنطق الشين جانبيةً وإضافة مقطع (يين) الذي لم تتضح لي وظيفته على وجه الدقة.

* **صَبَرَ:** "الصُبّار بضم الصاد: شجرة شديدة الحموضة، أشد حموضة من المصل، له عجم أحمر عريض يجلب من الهند، وقيل: هو التمر الهندي الحامض الذي يُتداوى به"(٢)، وعند أهل المهرة يُسمى الشيء الحامض (صَابِرْ) بنطق الصاد احتكاكيةً، أي: حامض، ويبدو أنّ هذا الاستعمال مأخوذ من تلك الشجرة الحامضة التي تنتشر في أرجاء المهرة.

* **صَعَقَ:** يذكر صاحب اللسان أنّ الصعق هو الشديد الصوت، وأنّ الصعقة صوت يكون عند الصاعقة، كما يقال: صعق الثور إذا خار خوارًا شديدًا(٣). وواضح هنا أنّ الصعق مرتبط بالصوت أو بشدته، لذا قال

---

(١) لسان العرب ٥ / ١٤٢. والحديث صحيح في المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٢١/٣.

(٢) السابق٥ / ٢٧١.

(٣) ينظر: السابق ٥ / ٣٣٩ .

المهرة: (صْعَاقْ)، وهم يقصدون بهذه الكلمة الفعل (نادى)، وقالوا أيضًا: (صْعَقْكْ) بمعنى: ناديتُ وناديتَ، و(صْعَاقِمْ) بمعنى: نادوا، و(صْعَاقِنْ) بمعنى: نادينَ، وهكذا.

* عَثَمَ: قال أبو مسحل: "ويقال: انجبرتْ يده على عثمٍ وعثلٍ وأجرٍ وهو العيب، ويقال: قد وعى تعي وعيًا إذا انجبرت على غير عيب"[(١)]. وقال كراع: "وعثمتْ يده تعثم عثمًا إذا جبرت على غير استواء، وعثمتُها أنا: جبرتها على غير استواء"[(٢)]. ويقول المهريون: (عُوثِمْ) بمعنى: جبرَ اليد المكسورة، بيد أنّ الجبر والعثم هنا لا يكون إلاّ على استواء، وعليه يكون استعمال (عثم) في المهرية نقيض ما هو عليه في العربية الفصيحة، هذا أمر، وأمر آخر أنّ ظاهرة مطل الحركة في المهرية انتقلت هذه المرة إلى حركة الحرف الأول بعد أن كانت السُّنة في ما مضى حركة ما قبل الأخير.

* عَرَصَ: "يقال: بتنا في حرى فلان وجَنْبه وإرثه وعَرَاه وذراه... وعرصته وقاحته وباحته، ومعناه: بتنا في سكنه وجواره"[(٣)]. ويستعمل أهل المهرة لفظة من هذه المادة فيقولون: (عَرْصَاتْ) بنطق الصاد احتكاكيةً قاصدين بها العشيرة، كما يستعملها بعض سكان الجبال في المهرة بمعنى المأوى الذي يُبنى عادةً بشكل دائري من الحجر والطين ويُسقف بالأخشاب.

---

(١) كتاب النوادر ١ / ١٨.

(٢) المنتخب من غريب كلام العرب، ص (٢٦).

(٣) كتاب النوادر ١ / ٤٥.

* **عَصَرَ**: في المنجّد: "العصران: الغداة والعشي"[1]. ويبدو أنّ هذا الاستعمال الفصيح له علاقة واضحة بإطلاق أهل المهرة لفظة (عَاصِرْ) بصاد احتكاكية أيضًا على الليل، فهم يقولون مثلاً: (فَقْحْ ذْ عَاصِرْ) أي: منتصف الليل.

* **عَفَرَ**: قال ابن منظور: "العُفرة: غبرة في حمرة عفِرَ عفرًا وهو أعفر، والأعفر من الظباء: الذي تعلو بياضه حمرة... والأعفر: الرمل الأحمر"[2]. ومازال أهل المهرة يسمون اللون الأحمر (عُوفِرْ)، وما من شك في أنّ العلاقة جلية بين العفرة والحمرة، وتُنطق هذه اللفظة أيضًا (أوفر) بإبدال العين همزة طلبًا للتخفيف. ويرتبط بهذه المادة معنى آخر؛ إذ يقول المهريون لمن تيمّمَ (عَفُور)، بمعنى: ضرب يده بالتراب، وقديمًا قال كراع: "والأعفر من الظباء: الذي على لون العَفر، وهو التراب"[3].

* **عَمَدَ**: ورد في المعجم الوسيط أنّ من معاني (العميد): المريض "لا يستطيع الجلوس حتّى يُعمّد من جوانبه بالوسائد"[4]. وتُطلق اللغة المهرية على الوسائد (مَعُومِدْ)، والغالب أنّها (معامد) ثم أميلت الألف إلى الواو، ومفردها عندهم (مَعَمْدِيتْ)، أي: (معمد) مضافًا إليها لاحقة

---

(١) المنجد في اللغة ، ص (٢٦٧).

(٢) لسان العرب ٦ / ٣٢٧.

(٣) المنجد في اللغة، ص (١٦٥).

(٤) المعجم الوسيط ٢ / ٦٢٦.

التأنيث (يت)، ومازال عادةُ أنْ يُعمّد المريض بالوسائد حاضرةً إلى يومنا هذا في مجتمع مهرة.

* **غَضَبَ**: من معاني (الغَضْبُ) في اللغة: الثور[1]. ويُطلق المهريون على الثور اسم (غُوضِبْ) بمطل حركة الحرف الأول واوًا ونطق الضاد انحرافية جانبية احتكاكية كما وصفها سيبويه[2].

* **غَمْغَمَ**: جاء في المجرّد: "والتغمغم: الكلام الذي لا يُبيّن"[3]. ويقول أهل المهرة (غُمْغُومْ) لمن تكلم بكلام غير مفهوم، أو لمن تحدّث بحديث ليس بواضح.

* **فَرَعَ**: "فرعتُ الجبل: علوتُه، وجبل فارع: عالٍ"[4]. وفي المهرية (فْرَاعْ) بمعنى: صعد وعلا، و(فْرَعْكْ) بمعنى: صعدتُ وعلوتُ، و(فْرَاعِمْ) بمعنى: صعدوا وعلوا، وهكذا.

* **فَرَقَ**: قال أبو مسحل: "وقد أفاق من مرضه، وبلّ، وأبلّ، واستبلّ، واحرنشم، وأفصم، **وأفرقَ**، واطرغشّ بمعنى: برأ"[5]. وقال كراع: "ويقال: أفرقَ الرجل من مرضه إفراقًا: برأ"[6]. وعند أهل المهرة

---

(١) ينظر :المنتخب من غريب كلام العرب ص (٤٦) ، ولسان العرب ٦ / ٦٣٤.

(٢) مضت الإشارة إلى ذلك في:الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٣) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٣٣٣).

(٤) المنتخب من غريب كلام العرب، ص (٣٦).

(٥) كتاب النوادر ١ / ٧٩.

(٦) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (١٧٦).

(فْرُوقْ) بمعنى: برأ من المرض أو تحسّن حاله، و(فْرَقْكْ) بمعنى: تعافيتُ وتحسنت.

* **قَدَحَ**: "القادح: العفن، وهو في الأسنان الحفر"[١]. وفي المهرية يُطلق على الضرس المحفور أو الذي أصابه السوس (قِدْحَيتْ)، فهي (قدحَ) الذي من معانيه العفن أو الحفر، أضيفت له لاحقة التأنيث (يت).

* **قَرَدَ**: قال كراع: "الكَرد: العنق عند أهل اليمن"[٢]. وقال ابن منظور: "قرد: لغة في الكرد وهو العنق، وهو مجثم الهامة على سالفة العنق"[٣]. فالقرد أو الكرد إذن: العنق، والحق أنّ الكلمة الدالة على العنق في المهرية هي (غُوثِي)، لكنّ المهرة يطلقون على الحنجرة (قَرْدْ)، وكأنّهم استعملوا العام ليدلوا به على الخاص.

* **كَرْسَعَ**: ذكر صاحب اللسان أنّ كرسوع القدم: مفصلها من الساق[٤]، ويطلق أهل المهرة على القدم (كِرْسَعُوتْ)، فاستعملوا (كرسع) ثمّ أضافوا إليها لاحقة التأنيث (وتْ)، فصارت الكلمة (كِرْسَعُوتْ)، وهناك من يقلب العين همزة عند نطق هذه اللفظة طلبًا للتخفيف.

---

(١) المنجد في اللغة، ص (٣٠٢).

(٢) السابق ، ص (٣١٩) .

(٣) لسان العرب ٣٠٠/٧.

(٤) ينظر: السابق ٦٣٧/٧.

* **كَرْكَرَ**: في نوادر أبي مسحل: "ويقال: قَهْقَهَ في ضحكه، وهنبصَ، وتغنغ، وزهزق، وطخطخَ، **وكركرَ**، وقرقرَ. بمعنى واحد"[١]، ويقول المهريون: (كِرْكُورْ) للضاحك إذا ضحك، وصحب ضحكه صوت معين.

* **لَبَدَ**: تشير هذه المادة في معاجم اللغة إلى التداخل والالتصاق[٢]، واستعملت المهرية (لَبْدْ) بمعنى: نعل، وجمعته على (هَالْبُودْ)، فكأنّها وافقت بين المعنى والوظيفة، إذ يلتصق النعل عادةً بالقدم فيحميها ممّا قد يؤذيها.

* **لَبَنَ**: جاء في المجرّد: "والتلبينة: تفعيلة من اللبن، **لأنّها تشبهه لرقتها وبياضها**"[٣]، وجاء في اللسان: "التلبينة: حساء يُعمل من دقيق أو نخالة، ويُجعل فيها عسل، سُمّيتْ تلبينة تشبيهًا باللبن **لبياضها ورقتها**"[٤]. ويبدو أنّ تسمية التلبينة بهذا الاسم لعلاقة بينها وبين اللبن يمكن أن يصلح تفسيرًا لإطلاق أهل المهرة لفظة (لْبُونْ) على اللون الأبيض، فهم يقولون: (لْبُونْ) بمعنى: أبيض، و(لِيبِنْ) بمعنى: بِيْض، و(لْبِينُونْ) بمعنى: ابيضّ، وهكذا.

---

(١) كتاب النوادر ١ / ٢٦ – ٢٧.

(٢) يُراجع: لسان العرب ٨/ ٢٠، والمعجم الوسيط ٢/ ٨١٢ .

(٣) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٣٤٢).

(٤) لسان العرب ٨/٢٨.

* **مَطَقَ**: "التمطّق والتلمظ: التذوق... وقيل: إلصاق اللسان بالغار الأعلى، فيُسمع له صوت، وذلك عند استطابة الشيء"[1]، ويُطلق المهريون على ما حلا مذاقه (مَطْقْ)، فـ (مَطْقْ) عندهم: الحلو المذاق، والغالب أنّ هذه اللفظة المهرية بهذا المعنى تنضاف إلى سابقاتها من الألفاظ المهجورة في الاستعمال الفصيح.

* **نَفَسَ**: في المعجم الوسيط: "هو في نفسٍ من أمره: **سعة وفسحة**"[2]. ويقول أهل المهرة للواسع: (نْفِيسْ) بنطق الياء نصف حركة، ويقولون أيضًا: (هِنْفُوسْ) بمعنى: أوسعَ، و(هِنْفَسْكْ) بمعنى: أوسعتُ.

* **نَضَحَ**: قال كراع: "والناضح الذي ينضح الماء"[3]، ومن الأقوال المتداولة بين الناس: (كل إناءٍ بما فيه ينضحُ)، ومازال أهل المهرة يقولون: (نُوضِحْ) بنطق الضاد انحرافية جانبية احتكاكية، والمعنى: أراق الماء، و(نِضْحِكْ) بمعنى: أرقتُ وأرقتَ، و(نِضْحِمْ) بمعنى: أراقوا.

* **هَزَقَ**: قال كراع أيضًا: "ويقال: أهزقَ الرجل في الضحك إهزاقًا: أكثر منه"[4]، والإكثار من الضحك عند أهل المهرة (هْزِيقْ)، فهم استعملوا المادة الثلاثية (هزقَ) التي تعني: الإكثار من الضحك، ثمّ مطلوا كسرة الزاي، فصار الفعل (هْزِيقْ).

---

(١) لسان العرب ٣١٢/٨.

(٢) المعجم الوسيط ٢ / ٩٤٠ .

(٣) المنجد في اللغة، ص (٣٣٦).

(٤) المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، ص (٢٣٩).

* **هَيَش**: جاء في اللسان أنّ (الهيش): الجماعة والاختلاط، وهو كذلك: الحلب الرويد[1]، ويقول المهريون: (هَيشِتْ) بشين جانبية، قاصدين بها الحيوان على اختلاف أنواعه وأصنافه، ويبدو أنّهم يشيرون بهذا الاستخدام إلى الجماعة، أو إلى النوع من الاختلاط في والتداخل .

* **وَرَخ**: قال أبو مسحل: "ويقال: أُرْخَةُ الكتاب لمستهل صفر أو رجب، وتاريخ الكتاب، ويقال: ورّختُ الكتاب، وأرّختُ، ووَرَختُ، ثلاث لغات"[٢]. و(وَرْخَ) عند أهل المهرة (الشهر)، والعلاقة متقاربة بين المسميين، ولها تفسير ربما كان مقبولاً: فالتاريخ والتوريخ نوع من الحساب، والشهر نوع من الحساب .

ختامًا... لقد سعى هذا الفصل إلى إضاءة جوانب من اللغة المهرية فبدأ بجدلية اللغة واللهجة، ثم الحديث عنها في مصادر التراث العربي، وذكر بعض عناصرها اللغوية القديمة التي مازالت تحتفظ بها، ورصد بعض مفرداتها التي ما انفكت تستخدمها وترتد إلى استعمال عربي فصيح. وقد انتهى بعد سردٍ وعرضٍ ومناقشةٍ إلى الأمور الآتية:

- المهرية لغة وليست لهجة لأنّها بُعدت عن أصولها الأولى ما جعلها غريبةً على أخواتها، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في اللغة نفسها، كما أنّ الاختلاف فيها لم يعد في صفات لغوية ضمن بيئة

---

(١) ينظر: لسان العرب ٩/١٨٠.

(٢) كتاب النوادر ١ / ٣٤٥ .

خاصة، ولم يعد عادات كلامية مستقلة، بل تعداه إلى عناصر لغوية متنوعة يضرب بعضها في حقب زمنية موغلة في القدم.

- إنّ أحكام اللغويين العرب المتقدمين فيما يخص المهرية وألفاظها أحكامٌ كانت تستند إلى معيار اللغة العربية الفصيحة، فجعلوا ما خالفها غتمة وعجمة، وكان الأحرى بهم النظر إلى اللسان المهري باعتباره تنوعًا لغويًّا فرضته الجغرافيا، وضرورةً لا يمكن الاستغناء عنها عند متكلميها، وأبلغ دليل على ذلك بقاء اللغة المهرية إلى أيامنا هذه.
- توجد في المهرية بعض العناصر اللغوية المتنوعة والمتعددة، من الشمال والجنوب، ممّا يجعل الفرض الذي افترضه المستشرق ولفنسون مقنعًا مقبولاً، وهذا التنوع جعلها أيضًا لغة قادرة على الاكتساب، كما أنّ هذه القدرة دليل عراقة وقدم.
- تحتفظ المهرية إلى يومنا هذا بكثير من المفردات العربية الفصيحة التي هُجرت في الاستعمال الفصيح، ويثير هذا الاحتفاظ حقيقةً أسئلة عدّة، لعلّ في مقدمتها: لَمِ احتفظتْ المهرية أصلاً بهذا المفردات في حين جفاها الاستعمال الفصيح؟

الفصل الثاني

الإبـــل المهـــرية

إضــــاءة:

أنصف الشعر العربيّ القديم الإبل المهرية، وسطّر لنا في دواوينه وعلى ألسنة فطاحلته من الشعراء تاريخًا حافلاً لها يمثّل بحقٍّ مفخرة لمهرة منذ سالف العصور، وقد أظهر ذلك الشعر الإبل المهرية مطلبًا لكل مقدام، ومقصدًا لكل كريم، ومركبًا لكلّ مغامر شجاع لا تثنيه المخاوف ولا تُضعف من عزمه المخاطر، ولذلك لا غرو أن يُفصّل الحديث في تعدد أسمائها ودقائق صفاتها وعلاقتها بالرحلة والارتحال بعدّها الراحلة الكريمة النجيبة القوية القادرة على تحمل المشاق وتجشّم الصعاب. لذا يحاول هذا الفصل أن يسلّط شيئًا من الضوء على أبرز ما ميّز مهرة في التراث العربي القديم ألا وهو إبلهم، فتحدّث في المبحث الأول عنها باعتبارها أموال مهرة في المقام الأول، وفصّل في المبحث الثاني أسماءها التي وردت على ألسنة الأدباء، وساق في المبحث الثالث صفاتها التي تبعث بحقٍّ على العجب والفخر معًا، ليختم في المبحث الرابع بعلاقتها بالرحلة، وكانت الشواهد الشعرية في كل ما يُذكر خير أدلةٍ يمكن أن يستعين بها الباحث في العرض والتدليل والاستنتاج.

المبحث الأول

الإبل... أموالُ مهرة ومفخرتُهم

ارتبط الحديث عن الإبل المهرية في المصادر الأدبية واللغوية بالحديث عن أرض (مهرة) وسكانها وموقعها وأموالها ولسان أهلها، قال ابن دريد: "ومَهْرَة بن حيدان: حيّ عظيم من العرب، النّسب إليه مَهْرِيّ، **وإليهم تُنسب الْإِبِل المَهْرية**، وتُجمع على مَهارَى ومَهارٍ"[(١)]، وقال أبو نصر الفارابي (ت ٣٥٠ هـ): **"ومَهْرَةُ: بلادٌ إليها تُنسبُ الإبلُ الْمَهْرِيَّة"**[(٢)]، وقال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ): **"ومهرة بن حيدان: أبو قبيلة تنسب إليها الإبل المهرية**، والجمع المهارى، وإن شئت خففت الياء، قال رؤبة[(٣)]:

بِهِ تَمطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مَهَمَّةْ   بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارَى النَّفَّهْ"[(٤)]

وتوسّع الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) صاحب المصباح المنير فقال: "ومَهْرَةُ حيٌّ مِنْ قُضاعةَ من عرب اليمن، سُمُّوا باسم أبيهم مَهْرَةَ بن حيْدان، وَالْإِبلُ

---

(١) جمهرة اللغة ٢ / ٨٠٤ .

(٢) ديوان الأدب ١ / ١٤٠ .

(٣) رؤبة بن العجاج التميمي، من رجّاز الإسلام وفصحائهم، وهو من مخضرمي الدولة الأموية و العباسية. كان رأسًا في اللغة، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة. توفي سنة ١٤٥ في خلافة المنصور العباسي.

(٤) الصحاح ٢ / ٨٢١ . وتمطت: رَكبتْ، وغول: مُهلك، والحراجيج: جمع حروج: وهي الناقة المكتنزة الجسيمة. والنفة: السريعة. ومعنى البيت: خضنا غمار المهام الصعبة المهلكة على ظهور الإبل المهرية القوية المكتنزة السريعة.

المَهْرِيَّةَ قيل: نسبةٌ إلى البلد، وقيل: إلى القبيلة، والجمع المَهاريُّ بالتثقيل على الأَصلِ وبالتخفيف للتخفيف، لكنْ مع قلب الياء ألفا فيقال مَهَارَى" [1].

وقد يتعداه الأمر إلى وصف الموقع الجغرافي والمساكن ونواحي الإقامة على نحو ما هو وارد عن أبي منصور الأزهري في كتابه الزاهر إذْ قال: "والمهارى من الإبل **منسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهم قوم من أهل اليمن، وبلادهم الشحر بين عمان وعدن أبين،** إبلهم المهرية، وفيها نجائب تسبق الخيل"[2]. وعلى نحو ما هو وارد عن ابن الناظم (ت ٦٨٦ هـ) الذي قال: "وكذلك مهارى كان أصله مهاريّ لأنه جمع مهرية أو مهري، وهو ما كان من الإبل منسوبًا إلى مهرة بن حيدان، وهم قبيلة من اليمن من قضاعة **بناحية الشحر**"[3].

وغالبًا ما يَرِدُ هذا الحديث في سياق بيتٍ شعريّ ما، تظهر فيه الراحلة المهرية خير شاهد على قوةٍ أو صبرٍ في سياق مدحٍ أو غزل، فمن ذلك قول الشاعر:

أَلَا يَا صَاحِبَيَّ قِفَا المَهَارَى نسائلْ حِبَّ بَثْنَةَ أين سارَا؟

وشرح بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ) هذا البيت فقال: "المهارى: جمع مهرية، وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة، بلدٌ باليمن، **وبلاد مهرة ليست بها نخيل ولا زرع، وإنما أموال أهلها الإبل،** وينسب إليها النجب

---

(١) المصباح المنير ٢/ ٥٨٢ .

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، ص (١٠١).

(٣) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص ١٦٦ . وقد مضى أنّ الشحر في لسان العرب: الساحل الممتد من مسقط إلى عدن.

المفضلة...وقوله: (حِبّ) بكسر الحاء؛ أي: محبوبي، و (بثنة): بفتح الباء الموحدة وسكون الثاء"[١].

ويبدو أنّ مسمى (مهرية) الدالّ على الإبل الأصيلة قد تطور مع مرور الزمن، إذ كثر استعماله حتى صار اسمًا لكل نجيب من الإبل، جاء في كتاب التعليقة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ): "قال أبو العباس: حق مَهْرِيّة ألاّ تُجمع على مَهارَى، لأن الياءين ياءا النسب، ولكن لما كَثُر استعمالهم مَهْرِيَّة حتى شُهِر، فصار بمنزلة الاسم لها، حتى إنّا قلنا: هذا مَهْرِيّ وهذه مَهْرِيّة.قال أبو علي: قوله: هذا مَهْرِيّ، وهذه مَهْرِيَّةٌ، يريد أنّه وإنْ كان في الأصل صفة فقد صار بمنزلة الاسم، لأنه ليس يجري على موصوفه، ألا ترى أنك لا تكاد تقول: **هذا جملٌ مَهريٌّ ولا ناقةٌ مهرية، إنما هو هذا مَهريٌّ وهذه مَهْرِيّة...** فلما صار بمنزلة الأسماء، صارت الياءان فيه بمنزلة ما هو في الاسم بغير معنى النسب"[٢]. وقال الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) معلقًا على مصريّ وبصريّ: "قد تكون الياء في الأصل للنسب الحقيقي، ثم يكثر استعمال ما هي فيه حتى يصير النسب منسيًا أو كالمنسي، فيُعامل الاسم معاملة ما ليس منسوبا كقولهم مهري ومهاري، **وأصل المهري بعيرٌ منسوب إلى مهرة قبيلةٌ من قبائل اليمن ثم كثر استعماله حتى صار اسما للنجيب من الإبل"** [٣].

---

(١) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» ٣ / ١٣٩٠ .

(٢) التعليقة على كتاب سيبويه ٣ / ٢٥٠ .

(٣) شرح التصريح على التوضيح ٣ / ١٤٠٦ .

وهذه النسبة ليست خاصة بالناقة فقط بل تتعداها إلى البعير، جاء عن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ): "يقال: جَمَل مهرِيٌّ، وجمال مهارى"[١]. وقال ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ): "المهري: بعيرٌ منسوبٌ إلى مهرة قبيلة من قبائل اليمن، **ثم كثر استعماله حتى صار اسمًا للنجيب من الإبل**" [٢].

وأبلغ دليل على تحول هذه الصفة في مصادر اللغة والأدب إلى صفة نجابة في كلّ إبل قول ابن سيده: "**وأمهَرَ النَّاقة: جعلهَا مَهْرِيَّة**" [٣]، أي: روّضها لتكون ناقة نجيبة، وقد تابعه فيما ذكر ابن الحداد (ت بعد ٤٠٠ هـ)[٤] في كتابه الأفعال، وابن منظور [٥] في لسان العرب، والفيروزآبادي (ت ٨٠٧هـ) في القاموس المحيط، [٦]، والزبيدي في تاج العروس[٧].

ويكفي الإبل المهرية فخرًا أنّها كانت من نِعَمِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، جاء في كتاب نهاية الأرب: "كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشرون لقحة[٨] بالغابة، يُراح له منها كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللّبن، وكانت له لقحة تدعى بردة، أهداها له الضحّاك بن سفيان، كانت تُحلب كما تُحلب لقحتان غزيرتان، **وكانت له مهريّة أرسلها إليه سعد بن عبادة**

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ٢١٤ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٤ / ١٨٧٠ .

(٣) المحكم ٤ / ٣١٧ – ٣١٨ .

(٤) ينظر: كتاب الأفعال ٤ / ١٥٤ .

(٥) ينظر: لسان العرب ٥ / ١٨٦.

(٦) ينظر: القاموس المحيط ١ / ٤٧٨ .

(٧) ينظر: تاج العروس ١٤ / ١٥٨ .

(٨) اللقحة: الناقة الحلوب الكثيرة اللبن.

من نعم بني عقيل، وكانت له القصواء، وهى التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحى غيرها، وهى العضباء، والجدعاء، وقيل: العضباء غير القصواء" (١).

كما كانت من اختيارات صحابته من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم، إذ يُروى عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنّه ركب ناقة مهرية، فسارت به سيراً حسناً، فأنشد:

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غُصْنٌ بِمِرْوَحَةٍ إِذَا تَدَلَّتْ بِهِ أَوْ شَارِبٌ ثَمِلُ(٢)

قال البطليوسي (ت ٥٢١ هـ):"المروحة: الفلاة التي تخرقها الرياح، فالغصن يكثر فيها التثني والاضطراب، فشبّه به راكب الناقة لتبخترها به في مشيها، والتدلي: سيرٌ في رفق وسكون، يقال: دلوت الناقة أدلوها دلواً"(٣).

ويبدو أنّ الإبل المهرية كانت تتخذ مركبًا وزينة، فهي خير مركب للوفود التي تفد على الحكّام والأمراء، قال القلقشندي (ت ٨٢١ هـ): "قدم وفد همدان على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، منهم: مالك بن نمط أبو ثور، وهو ذو المشعار، ومالك بن أيفع، وضمام بن مالك السلماني، وعميرة بن مالك الخارقيّ، فلقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرجعهم

---

(١) نهاية الأرب ١٨ / ٣٠١ .

(٢) يصف راكب هذه الناقة كأنه غصن في يوم ريح تحركه الريح ذات اليمين وذات الشمال.

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣ / ٢٠٦ – ٢٠٧ .

من تبوك، وعليهم مقطّعات الحبرات، والعمائم العدنيّة، برحال الميس على **المهريّة والأرحبيّة**"[1].

وتأسيسًا على ما سبق: يمكن أن يُقال – وبكلّ اطمئنان – أنّ الإبل المهرية مثّلت بحق مفخرةً لمهرة من سالف العصور وغابر الدهور، وهي أموالهم في المقام الأول التي عليها اعتمادهم، ساعدهم في ذلك الشهرة الكبيرة التي حازتها لدى العرب.

---

(١) صبح الأعشى ٢ / ٢٦٢ . والمقطّعات: ثياب قصار لأنها قطعت عن بلوغ التمام، وقيل المقطّع من الثياب كل ما يفصّل ويخاط من قميص وغيره وما لا يقطع منها كالأزر والأردية. والحبرات: بكسر الخاء المهملة وفتح الموحدة وبالراء جمع مصبغ باليمن.

المبحث الثاني

أسماء الإبل المهرية

ذكرت بعض كتب اللغة والأدب أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طباعها، من ذلك ما ذكره النويري إذ قال: "والإبل ثلاثة أصناف: يمانيّ، وعرابيّ، وبختيّ. فاليمانيّ هو النّجيب، وينزّل بمنزلة العتيق من الخيل، والعرابيّ كالبرذون[1]، والبختيّ كالبغل، ويقال: البخت ضأن الإبل، وهي متولّدة عن فساد منيّ العراب"[2]. وعدّد بعضها أنواعها فقال: "والإبل أنواع: الأرحبية منسوبة إلى بني أرحب من همدان، وقال ابن الصلاح: إنها من إبل اليمن، والشذقمية إبل منسوبة إلى شذقم، وهو فحل كريم كان للنعمان بن المنذر، والعِيدية بكسر العين المهملة، إبل منسوبة إلى **بني العيد وهم فخذ من بني مهرة**، قاله صاحب الكفاية، والمجدية إبل باليمن منسوبة إلى المجد وهو الشر، والشدنية إبل منسوبة إلى فحل أو بلد قاله في الكفاية"[3]، وزاد القلقشندي: والغُرَيريّة منسوبة إلى غرير وهو فحل كريم مشهور في العرب، والجديليّة منسوبة إلى جديل: فحل كريم؛ والدّاعريّة منسوبة إلى داعر: فحل كريم كذلك.[4]

---

(١) البرذون: دابة دون الفرس، غليظة الأعضاء ضخمة تتخذ للحمل بخاصة، ويُطلق على غير العربي من الخيل والبغال برذون، من الفصيلة الخيلية ، عظيم الخِلْقة ، غليظ الأعضاء ، قوي الأرجل ، عظيم الحوافر .

(٢) نهاية الأرب ١٠ / ١٠٩ .

(٣) حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨ .

(٤) ينظر : صبح الأعشى ٢ / ٣٧ .

ومن المصادر ما ذكرت ألقاب الإبل فقالت: "ومن لقب الإبل: العيس وهي الشديدة الصلبة، والشملال وهي الخفيفة، واليعملة وهي التي تعمل، والوجناء وهي الشديدة أيضا، والناجية وهي السريعة، والعوجاء وهي الضامرة، والشمردلة وهي الطويلة، والهجان وهي الإبل الكريمة، والكُوماء بضم الكاف وهي الناقة العظيمة السنام، والحرف وهي الناقة الضامرة" [(١)].

وقد مضت الإشارة إلى أنّ الإبل المهرية اشتهرت باسم (المهرية)، فإذا أُطلق عُلم أنّ المراد به هو الإبل، ويُجمع على (مهاري) و (مهارى) فيُقال: ناقة مهرية، ونوق مهاري، وقد ذاعت شهرها إلى جانب أنواع أخرى تغني بها الشعراء، قال ذو الرمة مكنّيًا عن الأرض:

فمـــا أمُّ أولادٍ ثَكُـــولٍ وإنَّمـــا بنو بطنِها في بطنِـــها حـــينَ تَثْكُلُ
أسرّتْ جنينًا[(٢)] في حشا غيرَ خادجٍ فلا هوَ منـــتوجٌ ولا هو معجلُ
تموتُ وتحيـــا حائـــلٌ مـــن بناتِها ومنهنَّ أخرى عـــاقرٌ وهي تَحْمِلُ
عمـــانيّةٌ مـــهـــريّةٌ دوســـريّةٌ على ظهرِها للكورِ والحلسِ مَحْمَلُ[(٣)]

هذا وقد اشتُهرت الإبل المهرية بعددٍ من الأسماء نذكر منها:

أولاً: العيدية:

ربّما كان هذا الاسم من أكثر الأسماء دورانًا في مصادر اللغة والأدب عند الحديث عن إبل مهرة، وقد اتفقت هذه المصادر على أنّ **العِيدية نجائِبُ**

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨ .

(٢) أسرّت جنينا: أي ما يزرع فيها.

(٣) ينظر : التذكرة الحمدونية ٨/٣٢٥

منسوبةُ إلى العِيد، وهي قبيلة من مهرة بن حيدان[1]، ومنها ما جعلها "فحلاً كان نجيباً تنسب إليه النجائب العيدية.ويقال: هي منسوبة إلى العيد: وهم قومٌ من مَهْرَة بن حَيْدان من اليمن"[2]. أمّا من هو (عيد) هذا ؟ فمنهم من قال: إنّ بني العيد "بطن من مهرة تُنسب إليهم الإبل العِيديّة، وهو العِيد بن الآمريّ بن مهرة بن حيدان" [3]، ومنهم من قال إنّه فخذ من مهرة اسمه عيد بن ميرة[4]، ومنهم من قال إنّه "العِيدِيُّ بن النَّدَغِيِّ: رَجُلٌ منْ قُضاعَةَ، والنَّدَغِيُّ هُوَ ابنُ مَهْرَةَ بنِ حَيْدَانَ، وإلَيْهِ نُسبَتِ الإبلُ العِيدِيَّةُ"[5]، ومنهم من خالف فقال: "العِيدُ: قَوْمٌ مِنْ بَنِي عُقَيْل يُنسَب إِليهم النَّجائبُ"[6].

وقد ورد ذكر العيدية في قول ذي الرمة:

فانمْ القتودَ على عيرانةٍ أجدٍ مهريةٍ مَخَطَتْها غِرْسَها العيدُ

وشرح ابن دريد بيت ذي الرمة هذا بقوله: "الْعِيد: ابن الآمِري في وزن عامري بن مَهْرَة بن حَيْدان، وكثر الغَرْسُ في كلامهم حتى قالوا: غَرَسَ فلانٌ عِنْدِي نعْمَة، أَي أثبتها عِنْدِي"[7]، والمعنى: أي هم نتجوها. ونقل الزمخشري (ت ٥٢١ هـ) قول الشاعر:

قطريــــةٌ وخلالَــها مهــريّةٌ مِنْ عِيْدٍ ذاتُ سَوَالِفَ غلبِ"[8]

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٢ / ٦٦٩ .

(٢) شمس العلوم ٧ / ٤٨٥١ .

(٣) جمهرة اللغة ٢ / ١٠٥٩ .

(٤) ينظر: مقامات الحريري ، ص (٤٨٢).

(٥) تاج العروس ٢٢/ ٥٧٩ .

(٦) لسان العرب ٣ / ٣٩٨ ، وتابعه تاج العروس ٢٠ / ٩٣ .

(٧) جمهرة اللغة ٢ / ٧١٦ .

(٨) أساس البلاغة ١ / ٦٨٩ .

"وأنشد الجوهريُّ لرذاذ الكلبيّ:

ظَلّتْ تَجوبُ بِهَا البُلْدَانَ ناجِيةٌ عِيدِيَّةٌ أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنانِيرُ

وقال: هي نُوقٌ من كرامِ النَّجَائِبِ منسوبةٌ إلى فحلٍ مُنْجِب، أَو نسبةٌ إلى العيدِيِّ ابنِ النَّدَغِيِّ، محرَّكةً، ابن مهرةَ بن حيدان، أو إلى عاد بن عاد، أو إلى عاديّ بن عادٍ، إلا أنّه على هذا نسبٌ شاذٌّ، أو إلى بني عيدِ بنِ الآمِرِيّ"[1].

وروى صاحب المحكم صدر هذا البيت مختلفًا عند حديثه عن مادة (رهن)، قال: "وأرْهنَ بالسلعة وفيهَا: غالى وبذل فِيهَا مَاله حتى أدْركهَا، قَالَ الشَّاعِر:

يَطْوِي ابنُ سَلْمَى بِها فِي راكِبٍ بُعُدا عـيدِيَّةً أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنانِيرُ"

ويتابع: "**والعيدية، إبل منسوبة إِلَى الْعِيد، والعيد: قَبيلَة من مهرَة**، وإبل مهرَة مَوْصُوفَة بالنجابة، وأرْهَنَهُ للْمَوْت: أسلمه، عَن ابْن الْأَعرَابِي "[2]. وجاء ذكرها أيضًا في قول الشاعر:

لا تُستزادُ ولا تَثني براكِبِها إذا تَفَاضلتْ العيديةُ النّجدُ

فلا تثني براكبها أي: لا تؤخره حتى ينثوي عليها، والنجد: الماضية[3]. وعن الزمخشري: إنّ فيكم لهبّات العيديّة، قال: "بنو العيد: فخذ من مهرة نُسبتْ إليها الإبل"[4].

---

(١) تاج العروس ٨ / ٤٣٩ .

(٢) المحكم ٤ / ٣٠١ .

(٣) التمام في تفسير أشعار هذيل ، ص (٢٣٩).

(٤) أساس البلاغة ١ / ٦٨٨ – ٦٨٩ .

ثانيًا: الحوشية:

الحوشيُّ في أصل الوضع هو الغريب من الكلام ونحوه؛ فيُقَال: فلانٌ يتتبَّعُ حوشِيَّ الكلام ووحشيَّ الكلامِ وعُقْمِيَّ الكلام بمعنى واحد وهو الغريب.[1] ويبدو أنّ هذا المعنى قد انتقل إلى نوعٍ من الإبلَ المهرية غريبةٍ لا تجانس غيرها. قال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): "وزعم ناس أنّ من الإبل وحشيّا وكذلك الخيل، وقاسوا ذلك على الحمير والسّنانير والحمام وغير ذلك، فزعموا أنّ تلك الإبل تسكن أرض وبار[2]، لأنّها غير مسكونة، ولأنّ الحيوان كلّما اشتدّت وحشيّته كان للخلاء أطلب. قالوا: وربّما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهلية [3]. قالوا: **فالمهريّة من ذلك النّتاج**، وقال آخرون: **هذه الإبل الوحشيّة هي الحوش،**

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٥ / ٩٣ ، ولسان العرب ٦ / ٢٩٠ ، وتاج العروس ١٧ / ١٦٥ .

(٢) جاء في معجم البلدان: "قرية وبار كانت لبني وبار، وهم من الأمم الأولى، منقطعة بين رمال بني سعد وبين شحر مهرة، ويزعم من أتاها أنهم يهجمون على أرض ذات قصور مشيدة ونخل ومياه مطر، وليس بها أحد، ويقال إن سكانها الجن لا يدخلها إنسيّ إلا ضلّ". معجم البلدان ٣٥٧/٥. وجاء في خزانة الأدب : "قَالَ الأعلم: وبار: اسْم أمة قديمَة من العرب العاربة هَلَكت وانقطعت كهلاك عَاد وثمود. وقال البكريّ في معجم ما استعجم: قال أبو عمرو: وبار بالدهناء، بلاد بها إبل حوشية، وبها نخلٌ كثير لا يأبره أحد ولا يجده. وقال الخليل: وبار كَانَت محلّة عَاد، وهي بين اليمن ورمال يبرين، فلما أهلك الله عاداً ورث محلتهم الْجنّ، فَلَا يتقاربها أحدٌ من النّاس، وهي الأَرض التي ذكرهَا الله تعالى في قوله: وَاتَّقوا الَّذِي أمدكم بِمَا تعلمُونَ. أمدكم بأنعامٍ وبنين وجناتٍ وعيون".خزانة الأدب ٢٧٥/٢-٢٧٦.

(٣) ذكر الصديق الدكتور محمد مسلم المهري في معرض مراجعته لهذا الموضع ما نصّه: "مصداقًا لهذا؛ تقول الأساطير إنّ الإنسان إذا وجد إبل الجنّ فما عليه إلاّ أنْ يبول عليها وتصبح ملكه. فهل حدث هذا لإبل الجنّ فتحوّلت إلى الإنسان؟ تظلّ هذه الأساطير مؤشرًا لأمرٍ حدث وإنْ لم تفصّل في الواقع"

وهي التي من بقايا إبل وبار، فلمّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وجاسم، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها[1] إنسيّ، فإن سقط إلى تلك الجيزة[2] بعض الخلعاء، أو بعض من أضلّ الطريق حثت الجنّ في وجهه، فإن ألحّ خبلته، فضربت هذه الحوش في العمانيّة، فجاءت هذه المهريّة، وهذه العسجديّة التي تسمى الذهبيّة. وأنشدني سعدان المكفوف عن أبي العميثل قول الراجز:

ما ذمَّ إبلي عجمٌ ولا عــربُ ... جلودُها مثلُ طواويسِ الذّهبِ [3]

وقال الآخر:

إذا اصطكّتْ بضيقٍ حجرتاها ... تلاقــى العسجديّة واللّطــيم [4]

والعسجد من أسماء الذهب" [5].

وإذا كان الجاحظ قد جعل الإبل الحوشية عمانيةً أنجبت المهرية، فثمة من يرى أنّ الحوشية هي نفسها المهرية، وقد خصّها هذا النسل بصفاتٍ لا تتوافر لغيرها من التحمل وغرابة الخلق والعزة؛ إذ نَقَل بعض أرباب المعاجم عن المنذري (ت ٣٢٩ هـ) عن ابن الهيثم (ت٢٧٦ هـ) أنّه قال: الإبل الحوشِيَّةُ هي الوحشيّة، **ويقال إن فحلاً من فحولها ضرب في إبلٍ لمهرة بن**

---

(١) يطورها: أي يدخلها.

(٢) الجيزة: أي الناحية.

(٣) طواويس الذهب: حلي كانت نساء العرب تتخذها على خلقة أجنحة الطواويس.

(٤) جاء في لسان العرب: " العسجدية إبل منسوبة إلى سوق يكون فيها العسجد وهو الذهب؛ وقال ابن بري: العسجدية التي تحمل الذهب، واللطيم: منسوب إلى سوق يكون أكثر بزها اللطيم، وهو جمع اللطيمة، وهي العير التي تحمل المسك". ٥٤٣/١٢. والبيت لعاهان بن كعب بن عمرو بن سعد.

(٥) الحيوان ١ / ١٠٢ .

حيدان فنتجت النجائبُ المهريَّة من تلك الفحول الحوشيَّةِ، فهي لا يكاد يُدركها التعب، قال وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنه رأى أرْبَع فِقَرٍ من مَهْرِيَّةٍ عَظْماً وَاحِدًا! قال: وإبل حوشِيَّةٌ محرماتٌ لعزة نفوسِها.[1] وعلى الدرب ذاته سار الفيوميّ حين نقل عن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) أنَّ الإبلَ الحُوشِيَّةَ منسوبةٌ إلى الحُوشِ، وأنَّهَا فحولٌ من الجنِّ ضَرَبَتْ في إبلٍ فَنُسبتْ إليهَا، وحكاه أبو حاتم (ت ٢٥٠ هـ) أيضًا وقال: **هي النجائبُ المهريّة**"[2].

وتوسّع الزبيدي في الحديث عن لفظ (حوشيّ)، فنقل عن بعضهم أنّها بلاد الجن، وعن بعضهم أنّها إبلهم، قال: "قالَ العَجّاجُ:

حتّى إذا مَا قَصَّر العَشِيُّ عَنْهُ وَقَد قابلَهُ حُوْشِيُّ

أي: ليلٌ حوشيٌّ، أي عظيمٌ هائلٌ، ومن المجاز: الحُوشيّ: الوحشيُّ من الإبل وغيرها يقال: إنه منسوبٌ إلى الحوش بالضم، وهو بلاد الجن، من وراء رمل يَبْرِينَ، لا يمر بها أحدٌ من الناس، وقيل: هم من بني الجن، قال رؤبة: إليكَ سارت من بلاد الحوش، وقيل: الحوشية: إبل الجنّ، وقيل: هي الإبل المتوحشة، أوالحوشية: منسوبةٌ إلى الحوش، **وهي فحولُ جنٍّ تزعم العربُ أنَّها ضربتْ في نِعَم بني مَهْرَةَ بن حيدانَ، فنتجَت النّجائبُ المهْرِيَّةُ من تِلْك الفحول الوحشية فنُسبت إليهَا**"[3].

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٥ / ٩٣ ، ولسان العرب ٦ / ٢٩٠ ، وتاج العروس ١٧ / ١٦٥ .

(٢) المصباح المنير ، ص (١٥٦) .

(٣) تاج العروس ١٧ / ١٦٥ .

ثالثًا: الحميرية:

تذكر بعض المظان أنّ الإبل المهرية قد تردُ بمسمى (الحميرية) استنادًا إلى أنّ مهرة من حمير، وتستشهد بعدد من شواهد الشعر لشعراء متقدمين ومُقدَّمين، جاء في شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري عند شرحه للفظ (ذمام): "الذِّمام: الحرمة، وما يذم الرجل على إضاعته من عهد، والذِّمام: جمع ذَمَّة، بالفتح وهي رَكيَّةٌ قليلة الماء، قال ذو الرمة:

على حِمْيَرِيَّاتٍ كأنَّ عيونَها   ذِمامُ الرَّكايا أنكزَتْهَا المواتحُ"

وشرح نشوان البيت فقال: "على حميريات: **أي من إبل قضاعة وهم من حِمْيَر لذلك يقال: إبل مهرية وإبل عيدية**، وأنكزتها: أذهبت ماءها، ويروى: المواتح والموائح: يعني أن عيونها غارت من طول السير" [1]. ونقل ابن منظور عن ابن برّي (ت ٥٨٢ هـ) قوله: "رأيتُ في الحاشية بيتًا شاهدًا لكُثيّر، يصفُ ناقةً:

عَسُوفٌ بأَجْوازِ الفَــلا حِمْيَرِيَّةٌ   مَرِيشٌ، بذِئْبانِ السَّبِيبِ، تَلِيلُها"

"فالعَسُوفُ: التي تمرّ على غير هداية، فتركبُ رأسها في السَّيْر، ولا يثنيها شيءٌ، والأَجْوازُ: الأَوْساطُ ، **وحميريّة: أراد مهْرية لأن مهرة من حمير**، والتَّلِيلُ: العُنق، والسِّبيبُ: الشَّعَرُ الذي يكون متدلياً على وجه الفرسِ من ناصيته؛ جعل الشَّعر الذي على عيني النّاقة بمنزلة السَّبيب، وذؤابة النَّعل:

(١) شمس العلوم ٤ / ٢٢٣١.

المتعلّق من القبال؛ وذُؤابةُ النَّعل: ما أصاب الأرض من المرسَل على القَدَم لتحرّكه، وذُؤَابة كل شيءٍ أعلاه، وجمعها ذُؤاب"[١].

رابعًا: القُرطية:

القُرْط في اللغة: مَا عُلّق في شحمة الأذن من خَرَز أو ذهب، والجمع أقراط وقِرَطة وقروط، ويقال: قرَّط فلان فرسَه العِنان، ولهذا القول موضعان: "رُبمَا استعملوها فِي طرح اللّجام فِي رَأس الفرس، وربّما استعملوها للفارس إذا مدّ يده بعِنانه حَتَّى يَجْعَلهَا على قَذال فرسه[٢] فِي الحُضر، والمصدر مِنْهُمَا التقريط. وقد سمّت العرب قديما قُرْطاً وقُرَيْطاً وقَريطاً. والقروط: بطون من العرب من بني كِلاب لأنهم إخوة، أَسمَاؤُهم: قُرْط وقَريط وقُرَيْط. والقُرْطان: لغة في القرْطاط، وهو للسَّرج بمترلة الوَليّة للرَّحْل، وربما استُعمل للرحل أَيْضا"[٣]. وجاء في لسان العرب: "والقُرْط: الذِي تُعْلَفه الدَّوَاب وهو شبيهٌ بالرُّطْبة، وهو أَجلُّ منها وأَعظم ورَقاً... وقُرط: اسْمُ رَجُلٍ من سِنْبِس"[٤].

ومن المصادر مَن جعل (قُرطًا) بطنًا من بطون مهرة، وجعل القُرطية ضربًا من الإبل التي تنسب إليها، جاء في المحكم: "وقرط: قَبيلَة من مهرَة بن حيدان، **والقرطية: ضرب من الإبل تنْسب إليها**، قال:

قَالَ لِيَ القُرطيُّ قولاً أفهمهُ ... إِذْ عضَّه مضروس قد يألمه"[٥]

---

(١) لسان العرب ١ / ٣٧٩ .

(٢) قَذالُ الفرَس : مَعْقِدُ سَيْرَيِ اللّجام خلفَ النَّاصية والجمع : قُذُلٌ ، وأَقْذِلَةٌ.

(٣) جمهرة اللغة ٢ / ٧٥٧ .

(٤) لسان العرب ٧ / ٣٧٦ .

(٥) المحكم ٦ / ٢٦٩ ، والعبارة ذاتها في اللسان ٧ / ٣٧٦ .

وجاء في جمهرة اللغة: "والقُرْطِيَّة: إبل تُنْسب إلى حيّ من مَهْرَة، قَالَ الراجز:

أما ترى القُرْطِيَّ يَفري نَتْقا

النتقْ: النَّفْض الشَّديد"[1]. وروى ابن دريد شطر الرجز برواية ثانية هي: أما ترى القُرْطيَّ يفري مطران ثم قال: "**القُرْطيّ: جمل مَنْسُوب إِلَى بني قُرْط من مَهْرة بن حَيْدان**، وتمطّر الفرسُ تمطراً، إذا اجْتهد عَدْواً."[2]

وذكر صاحب تاج العروس أنّ (قُرطًا) قبيلة من مهرة أنجبت عددًا من المحدّثين والفقهاء، قال: "وقُرْطُ أيضاً: قبيلةٌ من مهرة بن حيدان، وإليهم نُسبت الإبل القُرْطِيَّةُ، ونوح بن سفيان المصريّ القُرْطِيُّ، بضمٍّ فسكون، وأخوه عثمان، وابن أخيهما محمَّد بن القاسم بن سفيان. أبو إسحاقَ الفقِيهُ المالكي: محدِّثون. وأبو عاصمٍ بكر بن عبدٍ القُرْطِيُّ""[3].

خامسًا: الغُريرية:

دار هذا المسمى في مواضع من أشعار ذي الرُّمة الشاعر الأموي المعروف، ونصّ الباهليّ شارح ديوانه على أنّ (غُرير) بطنٌ من مهرة، تُنسب إليه الإبل الغريرية. ومن ذلك قوله:

غَريريةُ الأنسابِ أو شدقميةٌ عِتاقُ الذّفارى وَسجٌ وموالعُ

قال الباهلي: "يريد: هذه الإبل **نسبها إلى غرير من مهرة**، أو شدقمية: نسبها إلى فحل، ويقال للبعير شدقم إذاكان واسع الشدق، وقوله: عتاق

(١) جمهرة اللغة ٢ / ٧٥٧ .

(٢) السابق ٢ / ٧٦٠ .

(٣) تاج العروس ٢٠ / ٢٠ .

الذفارى، أي: كرامتها، والذفريان: في القفا وهما الحيدان المشرفان عن يمين النقرة وشمالها حيث يجري العرق منهما، والوسيج: ضرب من السير، والملع: المر الخفيف"[١]. ومن ذلك قوله:

إلى ابنِ أبي موسى بلالٍ تكلّفتْ ... بنا البُعدَ أنقاضَ الغريريةُ السحرُ [٢]

ومنه أيضًا:

بها فِرق الآجال فوضى كأنها ... خناطيلُ أهمالٌ غريريةٌ زهرُ

قال الباهلي: "فِرقٌ: قطعٌ، والآجال: الواحد إجلٌ: وهي قطيع البقر والظباء، فوضى: مختلطةٌ، خناطيل: أقاطيع، واحدها خنطلةٌ. قال أبو عمرو: واحد الخناطيل خنطلٌ، أهمال: مهملةٌ، غريريةٌ: **منسوبةٌ إلى غُرير: حيٍ من مهرة**"[٣].

سادسًا : الحوكشية :

للحَكَش في معاجم اللغة معانٍ عدّة منها الحكر ، قال ابن دريد: "الحكش: مثل الحكر، رجلُ حكش مثل حكر، وَبِه سمي الرجل حوكشًا، الواو زائدة، إذا كان يحتكر، وهي لغة يمانية"[٤]، ومنها الجمع والتقبض والالتواء على الخصم؛ قال الفيروزآبادي: "الحَكْشُ: الجَمع، والتَّقَبُّضُ، ورجلٌ

---

(١) ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي ٢/١٢٩٥ – ١٢٩٦.

(٢) ينظر: السابق ٢/٩٥٩ – ٩٦٠.

(٣) ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي ١/ ٥٧٦.

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٥٣٨ .

حَكِشٌ عَكِشٌ، ككتِفٍ: مُلْتوٍ على خَصْمِهِ"[١]. **وأمّا (حوكش) فاسم رجلٍ من مهرة تُنسب إليه الإبل الحوكشية.** [٢]

سابعًا: الناعجة:

للنعج في معاجم اللغة أيضًا معانٍ عدة، يقال: نعجَ اللون إذا كان خالص البياض، ونعجت الناقة أسرعت في سيرها، ونعجت الشاة سمنت، وعن العرب: ناقةٌ ناعجةٌ وهي التي يُصاد عليها نعاج الوحش، وهي المهرية. جاء في المحكم: "وناقةٌ ناعِجةٌ: يُصاد عَلَيْهَا نِعاج الْوَحْش، **قال ابن جني: وهي من المهرية**". [٣] وفي المخصص: "والناعجة التِي يصاد عليها نعاجُ الوحش، ابن جني، **ولا يكون ذلك إلا في الإبل المهرية**" [٤]. وَفِي شعر خُفَافِ بن نَدْبَة:

والنَّاعِجَاتِ المُسْرِعات للنَّجَا

قال الزبيدي: "يَعْنِي: الخِفافَ من الإِبل، وَقيل: الحِسَان الألْوانِ"[٥]. ويبدو أنّ ابن جني قد نصّ على أنّ هذه الصفة (الناعجة) لا تكون إلاّ في المهرية نظرًا لما تتصف به هذه الناقة من سرعة وقوة ونشاط تؤهلها لاصطياد نعاج الوحش، إذ قد لا تتوافر هذه الصفات في غيرها من الإبل.

---

(١) القاموس المحيط ، ص ٥٩١ .

(٢) ينظر: جمهرة اللغة ١ / ٥٣٨ ، و القاموس المحيط ، ص ٥٩١ ، و تاج العروس ١٧ / ١٥٧.

(٣) المحكم ١ / ٣٣٤ .

(٤) المخصص ٢ / ١٩٧ .

(٥) تاج العروس ٦ / ٢٤٣ .

ثامنًا: البيحانية:

جاء في جمهرة اللغة عند الحديث عن مادة (باح): "وباحة الدَّار: ساحتها، وَالْجمع بُوح وسُوح. والبُوح: النَّفْس، وَمثلٌ من أمثالهم: ابنُك ابنُ بوُحِك يشرب من صَبوحِك... وبُحْتُ بكذا وكذا أبوح بَوْحاً، إِذا أظهرته، وأودعتُ فلانًا سرًّا فباح بِهِ، وبيّحتُ بفلان، إِذا أشعرته سِرّاً، **وبَيْحان: رجل من مَهْرَة بن حَيدان تُنسب إليه الإبل البَيْحانيّة**"[1].

إنّ مجمل ما يمكن أن يُقال في هذا المقام أنّ الإبل المهرية قد استمد بعضها مسمّاه من شخص أو من بطن ينحدر من مهرة على نحو ما رأينا في العيدية المنسوبة إلى عيد، والقرطية المنسوبة إلى قرط، والحوكشية المنسوبة إلى حوكش، والبيحانية المنسوبة إلى بيحان، والغريرية المنسوبة إلى غُرير. وقد يرتبط المسمى بالأساطير أو عالم الجن على نحو ما رأينا في الحوشية، أو قد يكون من باب إطلاق اسم الكل على الجزء على نحو ما هو وارد في الحميرية، أو قد يكون نتاج صفات السرعة والقوة على نحو ما هو مذكور في الناعجة.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ بعض أسماء الإبل المهرية قد جاء من صفةٍ ما، أي أنّ المسمى ناتجٌ عن صفة معينة، لذا رأيتُ أن أدرجها في المبحث التالي الذي سيتحدث عن صفات هذه الإبل.

---

(١) جمهرة اللغة ٢ / ١٠١٨.

المبحث الثالث

صفات الإبل المهرية

إضاءة:

صرّحت كتب اللغة بعدد من الأوصاف التي كان العربيّ يستحسنها في الناقة، منها: "دقة الأذن، وتحديد أطرافها، وكبر الرأس، واستطالة الوجه، وعظم الوجنتين، وقنوّ الأنف[1]، وطول العنق وغلظه، ودقة المذبح، وطول الظهر، وعظم السّنام، وطول ذنبها، وكثرة شعرها؛ الغليظة الأطراف، قليلة لحم القوائم؛ ليست رهلة، ولا مسترخية؛ وأن تكون مع ذلك كثيرة اللحم؛ ملساء الجلد، تامّة الخلق، قويّةً، صلبةً، خفيفةً، سريعةَ السير"[٢].

وقد جاءت هذه الصفات وغيرها كثيرةً على ألسنة الشعراء في أشعارهم، من ذلك قول البُعيث الحنفي:

وهَاجِرةٍ يَشوي مَهَاها سُمُومُها   طَبِخْتُ بهَا عيرانةً واشتويتُها
مفرجـــةً منفوجـــةً حضرميةً   مساندةً سرَّ المهارى انتقيتُها

وشرح التبريزي (ت ٥٠٢ هـــ) هذين البيتين بقوله: "(الهاجرة): وقت ترك العمل إذا قام قائمُ الظهيرة وغلب الحر فيه، و(المها): بقر الوَحْش، و(السموم): الرّيح الحارة، و(العيرانة): النَّاقة القوية[٣]، و(اشتويتها) معناه: سرتُ عليها حتى أنضاها حر الهواجر وأذهب لحمهَا فصارت كالمحترقة،

---

(١) قنو الأنف: وجود حدب في أوسطه.

(٢) صبح الأعشى ٢ / ٣٧ .

(٣) وسُمّيت عيرانة لأنّها تشبه العير .

و(المفرجة) : التي بعدت مرافقها عَن زورها واتسعت آباطها؛ يريد أنها فتلاء المرَافِق، و(المنفوجة): الواسعة الجنبين، و(الحضرمية): من نسل إبل حَضرمَوْت، و(المساندة): القوية الظّهْر، و(سر المهارى) : أي خِيَارهَا، و(المهارى) : نسبة إلى مهرَة بن حيدان، ومعنى البيتينِ: وربّ وَقت اشتدّ فيه الحر حتى صار يشوي الوحوش ريحه سرتُ فيه على ناقة قوية صلبة حتى أثّر فيها الحر مثل تأثير النّار في اللّحم من طبخه وشيّه. وَمن علامات شدَّة هذه الناقة وقوتها أنّها فتلاء الذراعين واسعة الجنبين قويّة الظّهْر، **وأنه قد اصطفاها من خِيَار الإِبِل المهرية**"[1]. وقال المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) في المعنى العام للبيتين: "والمراد أنه قاعٌ للمفاوز في الهواجر، مبتذلٌ لنفسه وراحلته لا يبقي عليهما في حرٍ، ولا يقيهما من سمومٍ وتعب"[2]. ولن يتحقق مراد الشاعر هذا إذا كانت ناقته ضعيفة لا تقوى على تحمل حرارة الشمس وتعب الرحلة، بل لا بدّ من أن تكون قوية صلبة لها القدرة على تحمل المشاق، وهي صفات توافرت منذ القدم في الناقة المهرية.

هذا وتذكر لنا مصادر اللغة والأدب عددًا من الصفات التي امتازت بها الإبل المهرية عن غيرها، ما جعلها مضرب المثل في هذا الباب، ومنها:

أولاً: الصفات الخَلْقية:

مضت الإشارة إلى أنّ الناقة المهرية قد توافرت فيها عددٌ من الصفات الخَلْقية منها أنّها مفرجة بَعُدتْ مرافقها عَن زورها واتسعت آباطها فهي

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ص ٣٨٠ .

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ، ص (١٢٦٥) .

فتلاء الْمرَافِق، وهي كذلك منفوجةواسعة الجنبين، وهي قوية الظّهْر، وهذه كلها من علامات شدة الناقة وقوتها، الأمر الذي جعل العرب يصطفونها منذ زمن، وما ذلك إلاّ لقدرتها على تحمل الحر، وتقلبات الريح، وتغيرات الأجواء(١).

ومن صفاتها الخلقية كذلك: تراصف ظهرها وتدانيه بعضه من بعض، وذلك أشد لها وأقوى من أن يكون محالها متباينات، قال أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ): " **المهرية ظهرها فقرة واحدة**، وهي الأَجْدُ، فإذا قالوا (أجد) أرادوا المهرية"(٢)، ومنه قول عمرو بن الأهتم:

وأبكارٍ، أوانسَ، ألحقتني   بهنَّ جلالةٌ، أجدُ، عسيرُ

وقال صاحب كتاب الاختيارين: "(أوانس): ذوات أنس من غير ريبةٍ، و(جلالة): ضخمةٌ، يقال: جملٌ جلال، وناقةٌ جلالة، و(أجد): موثقة الخلق، ومنه: بناء مؤجد، قال أبو عمرو: رأيت ثلاث فقاراتٍ عظمهن واحد، **وإنما يكون ذلك في المهرية**، و(عسير): اعتسرت من الإبل فركبت، ويقال: تعسر بذنبها، ترفعه نشاطاً" (٣).

وقال الراعي:

بانَ الأحبةُ بالعهدِ الذي عَهدوا   فلا تمالك عن أرضٍ لها عمدوا
حتى إذا حالتِ الأرجاءُ دونهُمُ   أرجاءُ ترمدَ كلّ الطرفِ أو بعدوا

---

(١) ينظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢ / ٣٨٠ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال للأنباري ، ص ١٦١ .

(٣) كتاب الاختيارين (المفضليات والأصمعيات) ، ص ٤١٨ .

لولا المخاوفُ والأوصابُ قد قطعت   عرضَ الفلاةِ بنا المهريةُ الأجدُ[1]

ومن صفاها الخَلْقية أيضًا أنّها:

*(**كوماء**): والناقة الكوماء هي عظيمة السنام، وفي ذلك قال الفرزدق:

ورثتُ أبي أخلاقَه عاجلَ القِرَى   وعبطَ المهاري كومُها وشبوبُها

"فالكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام، والمهاري: جمع مهريّة وهي الإبل، وعبطها: أن تنحر لغير علة، والشبوب:المسنة، وقد استشهد بعض النحاة في هذا البيت على رفع (كومها وشبوبها) مقطوعة عمّا قبلها، ولو جرّ على البدل من (المهاري) لجاز". [2]

* (**الكَمَج**): والكمج: طرف موصل الفخذ في العَجُز، قال طرفة بن العبد:

وبفَخْـذَيْ بَكْـرةٍ مَهْـرِيَّةٍ   مِثلِ دِعْصِ الرَّمْلِ مُلْتفٍّ الكمَجْ[3]

* (**القود**): من صفات الناقة المهرية أنّها قوداء وجمعها قود، والقوداء هي الطويلة الظهر والعنق، وقد نقل المبرّد (ت٢٨١ هـ) قول عدي بن الرقاع في هذه الصفة:

سأرحلُ مـنْ قُودِ المهارى شملـةٍ   مُسخـرةٍ ما تستـحثُّ بحادي

معَ الريحِ ما راحت فإن هي أعصفتْ   نهوزٌ برأسٍ كالعلاةِ وهادي[4].

ومن ذلك أيضًا قول أبي تمام في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه:

يَقولُ في قُومَسٍ صَحبي وَقَد أَخَذَت   مِنّا السُّرى وَخُـطا المَهرِيَّةِ القُـودِ

---

(١) ينظر: الزهرة لمحمد بن داود الظاهري ١-٧٩ .

(٢) شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ١ / ١٨٧ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٦ ، ولسان العرب ٢ / ٣٥٢ ، وتاج العروس ٦ / ١٧٥ .

(٤) ينظر: الكامل في اللغة والأدب ٣ / ١٠٦ . والنهوز: مبالغة من النهز، وهو الدفع.

أمطلعَ الشّمْسِ تَبْــغِي أَنْ تَــؤُمَّ بنا   فقلتُ: كلاَّ، وَلَكِنْ مطلع الجــودِ(١)

* (الفرضم):ومن صفاتها أيضًا أنّها (فَرضِم) ، قال الزبيدي: "وبعيرٌ فِرْضِمِيٌّ، بالكسر أي: عظيمٌ شديدُ الوَطْءِ، ويقال منسوبٌ إلى هذه القبيلة، ومِمَّا يُستدرَك عليه: **الفِرْضِمُ من الإبل: الضخمةُ الثَّقِيلَةُ**، كما في اللِّسانِ"(٢).

ومن صفاتها أنّها طويلة جسيمة حادة القلب قوية المناخر مائلة الرؤوس. قال ذو الرمة يصف رحلة:

أَلَمّتْ بشعــثٍ كالسّيوفِ وأينقٍ   حراجيجُ من آلِ الجديلِ وداعرِ

جذبْنَ البَرى حتّى شدفنَ وأورثتْ   رؤوسُ المهارى لقوةٍ في المناخرِ

"فالحراجيج: جمع حرجوج، وهي الناقة الطويلة الجسيمة الحادّة القلب، والجديل وداعر: فحلان كريمان تُنسب إليهما الإبل، والبرى: جمع برة بضم ففتح، وهي الحلقة تجعل في أنف الناقة للتذليل، شدفن: مالت رؤوسهن في ناحية، والمهارى بفتح الراء وكسرها: جمع مهريّة بالفتح، وهي النوق"(٣).

إنّ هذه الصفات الخَلْقية التي حباها الله تعالى الناقة المهرية صفاتٌ جعلتها مميزة عن غيرها، مختلفة عمّا سواها، صفاتٌ أورثتها العزّ من غابر الزمن، وألبستها الفخر من سالف الأيام، ما جعلها بحقٍّ مفخرة لمهرة تتحدث عنها العرب مع تقادم عصورهم وتوالي دهورهم.

---

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٣ / ١٢٢ . وقومس: بلد بين العراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان، وقيل: "اسم أعجمي، يوافق من العربية لفظ القَمْس، من قولهم: قَمَسَ في الماء؛ إذا غاص". ينظر: شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام ، ص ١٨٧ .

(٢) تاج العروس ٢٣ / ٢٠٧ .

(٣) ينظر : البرصان ١ / ٤٣٢ – ٤٣٣ .

ثانيًا: النجابة:

تَظهَر الإبل المهرية مقدمةً على غيرها في النجابة وكرم المنبت، حتى صارت علمًا لكلّ نجيب وكريم من الإبل. نقل القلقشندي في معرض حديثه عن الصفات المستحسنة في الناقة: "**وأما كرمها فإنه يقال لكل كريم خالص من الإبل: هجان من نِتاج مهرة**، وهي قبيلة من قضاعة باليمن".[١]

وقال ذو الرمة:

زَارَ الْخَيَالُ لِمَيٍّ هَاجِعًا لَعِبَتْ   بِهِ التَّنَائِفُ وَالْمُهْرِيَّةُ النُّجُبُ

وقال أبو نصر الباهلي في شرح البيت: "الهاجع: النائم وهو ذو الرمة، فخيال ميّ زاره، وقوله: لعبت به التنائف، أي: طوَّحته تنوفة إلى تنوفة، والتنوفة: القفر من الأرض، والنجب: الواحد نجيب: وهو العتيق الكريم"[٢].

وأورد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في معرض حديثه عن حذف النون من كلمة (لدن) قول غيلان بن حريث:

يتبعْنَ شهماً لانَ من ضَريرِهِ   من المَهارَى رُدَ في حُجورِهِ

يستوعبُ البَوْعَيْن من جَريرِهِ   من لدُ لَحْيَيْـــهِ إلى منحورِهِ

وقال السيرافي (ت ٣٨٥ هـ) في شرحه لبيتي سيبويه هذين: "الشاهد فيه على حذف النون من (لدن)، و(يتبعن) يعني الإبل، يتبعن جملاً شهماً وهو الحديد النَفَس، يريد أنه يسير أمامها وهي تسير خلفه، و(ضريره): شدة نفسه وصبره؛ يعني أنه لان شيء من شدة نفسه وامتناعه، ولو كانت نفسه على ما

---

(١) صبح الأعشى ٢ / ٣٧ .

(٢) ديوان ذو الرمة ١/٤٠.

كانت من الصعوبة لشق عليها، و(المهارَى) : جمع مهريّ ومهريّة، إبل مَهْرَة بنِ حَيْدان، وقوله: (رُد في حجوره): يعني أنه رُدِّد في كرمٍ أماته، **يريد أنه من نسل إبل كرام**، و(الجرير): الحبل، و(البوعان): مقدار باعين في الطول"[1].

وقد مضى قول الآخر:

يَطْوي ابنُ سَلْمَى بِهَا مِنْ راكبٍ بُعُداً   عِيـدِيَّةً أُرْهِنَـتْ فيـه الدَّنـانيرُ

وَيُرْوَى صَدْرُ الْبَيْتِ:

ظَلَّتْ تَجُوبُ بِهَا الْبُلْدانَ ناجيةٌ

وقال ابن منظور في عجز البيت: "والعِيديّة: إبلٌ منسوبةٌ إلى العِيد، والعيدُ: قبيلةٌ من مهرة، **وإبلُ مهْرة موصوفةٌ بالنجابةِ**؛ وأورد الأزهري هذا البيت مستشهدًا على قوله: أرهنَ في كذا وكذا يرهنُ إرهاناً إذا أسلف فيه، ويقالُ: أرهنت في السلعة بمعنى أسلفت"[2].

ثالثًا: الذكاء:

يُورد بعض العلماء المتقدمين صفةً طريفةً في الإبل المهرية هي الذكاء، قال الفيومي في معرض حديثه عنها: "**ومن غريب ما يُنسبُ إليها أنّهَا تفهمُ ما يُرادُ منها بأقل أدبٍ تُعَلِّمُهُ، ولها أسماءٌ إذا دُعيتْ أجابتْ سريعًا**"[3]. وجاء

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢ / ٣٢٧ .

(٢) لسان العرب ١٣ / ١٩٠ . وينظر كذلك : جمهرة اللغة ٢ / ٨٠٧ .

(٣) المصباح المنير ٢ / ٥٨٢ .

عن الإدريسي أيضًا أنّ الإبل المهرية شديدة الذكاء تعلم ما يراد منها بأقل أدب تُعلّمه[١].

رابعًا: التقدم على غيرها :

قال الزمخشري عند حديثه عن مادة (زَمَمَ): "وزممت القوم: تقدمتهم، **وزمت الناقة الإبل كانت زماماً لها تتقدمها**. قال ذو الرمة:

مَهْرِيَّةٌ بازِلُ سـير المطيِّ بِهَا   عشيةَ الْخِمسِ بالْمَوْمَاةِ مَزْمُوم"[٢]

وأضاف – أي الزمخشري – في موطن آخر: "يَعْنِي أَنه جَاعل مَا تلِي عَلَيْهِ دبر أُذُنه ووراءِ ظَهره قلّة احتفال بِشَأْنِهِ فَكَأَنَّهُ تقدمه وَخَلفه" [٣]، وفصّل أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) في معنى مفردات البيت فقال: "قوله: سير المطي بها: يقول كأن سيرهن يوصل بسيرها لفضل نشاطها، يقال: هو يزم الألف أي يسبق الألف، وقال بعضهم: **أراد كأنها زمام لهن تقتادهن** كما يقتاد البعير بالزمام، والموماة: البرية، والخمس: أن تقيم ثلاثا في المرعي وترد في الرابع، فذلك الخمس"[٤].

خامسًا: قوة التحمل:

من الصفات المميزة للناقة المهرية أيضًا قدرتها الفائقة على تحمل الحرارة والعطش والتعب ومزيد الجهد. قال جرير:

إذا العُفرُ لاذتْ بالكِناسِ وهَجّجَتْ   عُيونُ المهارى مِنْ أجيـجِ السّمائِم

(١) تكملة المعاجم العربية ١ / ٩٥ .

(٢) أساس البلاغة ١ / ٤٢٢ .

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر ٢ / ١٢٣ .

(٤) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ١ / ٦٣٣ .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) في شرح البيت: "العُفر: الظباء تعلوها حمرة، وقوله (لاذت): يقول دخلت العُفر تحت ظل شجرة، وإنما تفعل ذلك من شدة الحر، قال: ولوذ كل شيء ناحيته، وقوله و(هجّجت): **يريد غارت عيون هذه المهارى، وهي إبل كرام نسبها إلى مهرة**، وهم قوم من العرب معروفون بنتاج كريم، يقول: فغارت عيون هذه الإبل، ورجعت إلى الرؤوس **من الجهد والعطش والتعب**"(١). ففي الوقت الذي تلوذ فيه الظباء وغيرها بالظلّ هربًا من حرارة شمس الأرض العربية، تبقى الناقة المهرية خير شاهدٍ على تحمل السموم وما يستتبعها من إرهاق وظمأ ومشقة.

سادسًا: السرعة:

مثّلت هذه الصفة أيضًا سمةً واضحة للناقة المهرية، فإذا ذُكرت هذه الناقة ذُكرت معها السرعة، وقد نقل سيبويه عن ذي الرمة قوله:

فأنْمِ القُـــتودَ على عَيْرانةٍ أجُـــدِ مَهْرِيةٍ مَخَطَتْها غِرْسَها العِيدُ

نَظارةٍ حين تعلو الشمسُ راكبَها طَرْحاً بعَيْنَي لياحٍ فيهِ تَحديدُ

والمعنى: "أنم القتود: ارفعها، والقتود: خشب الرحل؛ يريد: ارفعها على الراحلة وشد الرحل عليها، والعيرانة: الناقة المشبهة بالعير في نشاطها **وخفتها في العدو**، ومهرية: من إبل مهرة بن حيدان، والعيد: قبيلة من مهرة ينسب كرام الإبل إليها، والغرس: السلا، وهو الجلدة التي تكون على الولد، ومخطتها غرسها: نتجتها هذه القبيلة ، فجعل العيد لما كان نتاجها عندهم بمنزلة من استخرج الولد، يريد: مخطت العيد هذه الناقة، استخرجتها من بطن

---

(١) شرح نقائض جرير والفرزدق ٣ / ٨٧٧ .

أمها وهي في الغرس". وأضاف السيرافي: "وتفسير قوله: (مخطتها) هو تفسيرٌ على ما رأيته صوابا عندي، والذي قال بعض الرواة: مخطتها أشبهتها.ونظارة: يريد أنها تنظر نظرا حادا من النشاط وقوة النفس، ينتصف النهار وتكون الشمس على رأس راكبها، وتطرح طرفها طرحا، وتنظر بعين لياح: وهو الثور الأبيض"(١).

وذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ما نصّه: "وأمّا الإبل المهرية، فمنسوبةٌ إلى مهرةَ، وهم قومٌ كانوا يسكنون وَبَار، ويقال: **إنّ إبلهم لا يسبقها شيءٌ**"(٢). وقال القطامي واصفًا سرعة ناقته المهرية:

وقمتُ إلى مهريّةٍ قـد تعوّدتْ   يداها ورجلاها خبيبَ المواكبِ

ونصّ ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) على معنى البيت بقوله: "مهريّة: منسوبة إلى مهرة بن حيدان، بطنٌ من اليمن، يُضرب بإبلهم المثل في الكرم، **والخبب والخبيب: ضرب من العدو**" (٣). وزاد الفيومي أنها نجائب تسبق الخيل، لا يُعْدَلُ بها شيءٌ في سرعةِ جريانهَا(٤).

ومن الألفاظ التي تناقلها الشعراء دلالةً على سرعة المهرية قولهم (وسيج) بمعنى سريعة أو مسرعة، من ذلك قول الراعي:

عَلَى الدّارِ بالرُّمّانَتَيْنِ تَعُوجُ   صُدُورُ مَهارَى سَيْرُهُنَّ وَسِيجُ(٥)

---

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١ / ١١٦ – ١١٧ .

(٢) حلية الفقهاء ، ص ١٠١.

(٣) أمالي ابن الشجري ٢ / ٢٧١ .

(٤) ينظر : المصباح المنير ٢ / ٥٨٢ .

(٥) ينظر : المحكم ١٠ / ٢٤٧ . .

ورُمّانَتانِ المذكورة في البيت موضع [1].

وربّما كان واحدًا من أهم أسباب السرعة أن تمدّ أضباعها[2] في السير، لتستعين بذلك على الجري، قال الزمخشري: "وضبعت الخيل والإبل: مدت أضباعها في السير، وفرس ضابع، ومرّت النجائب ضوابع، وقال:

كَلّفَتْها المهرّيةُ الضَّوابعا"[3]

وصفةٌ أخرى ربّما ساعدها في الانطلاق أيضًا أنّها (لا شوار لها)، والمقصود بالشوار: المتاع أو الأثاث، فيعينها ذلك في العدو، قال زهير بن أبي سُلمى:

مهـــريةٌ تَبَارى لا شُـــوارَ لـــها   إلا القطوع على الأكوار والورك

والورك هنا جمع الوراك، وهو ثوب يبقى على الرحل[4].

وقد طارت هذه الصفة في الإبل المهرية في الآفاق، فأخذ الشعراء يتغنون بها لسرعة عدوها، قال محمد بن الحسن بن مرزوق الأصبهاني:

أقْسَمتُ بالرّاقِصاتِ الهوجِ يَعْسفُها   ركبُ الحجيجِ عقيبَ الأينِ والضّمرِ
من كلِّ مهــريّةٍ تَهــوي براكبِها   كالقَوسِ ألجـمَ منها السّهمَ بالوترِ
عوامدُ البيتِ ذي الرّكنِ المنــوطِ بهِ   وَقْـعَ الشّفاهِ بأعلى صفحةِ الحَجرِ
لأنتَ أوفــى بني الدُّنيــا بأسرِهِم   عهدًا وأصفاهُم ورْدًا من الكدرِ(١)

---

(١) ينظر : تاج العروس ٣٢ / ٢٨٦ .

(٢) في تاج العروس: "الضَّبْع بالفتح : العَضُدُ كلُّها والجمع: أَضْبَاعٌ كفَرْخٍ وأفْرَاخ، قيل: أوسطها بلَحمِها، يكون للإنسانِ وغيره، تقول: أخذتُ بضَبْعَيْ فلانٍ فلمْ أفارقه، ومددتُ بضَبْعَيْه: إذا قبضتَ على وسط عُضُدَيْه، قاله الليثُ، ويقال في أدبِ الصلاة : أَبِدَّ ضَبْعَيْك والمُصَلّي يُبِدُّ ضَبْعَيْه".

(٣) أساس البلاغة ١ / ٥٧٤ .

(٤) ينظر : التقفية في اللغة ، ص ٣٨٨ .

(١) ينظر : دمية القصر وعصرة أهل العصر ١ / ٤٢٤ . .

وقال الراجز:

مَهْــرِيَّةٌ تَخْطِرُ فِي زِمامِها   لم يُبْقِ فِيهَا السيرُ غيرَ لامِها

ولام الإنسان: شخصه[1].

فالسرعة إذن والخفة في العدو سمة بارزة من سمات الإبل المهرية، بل إنّ من المصادر التي مضت ما ينصّ نصًّا على أنّها لا يعدلها شيء في سرعتها، ولا يكاد يسبقها شيء من الإبل.

سابعًا: الجرأة والجسارة:

جاءت مصادر اللغة والأدب على صفاتٍ للناقة المهرية فقالت: إنّها جريئة الصدر، سهلة، جسور، قال المرار بن منقذ:

ولقــدْ تمرحُ بــي عيديةٌ   رسلةُ السّومِ سبنتاةٌ جُسرُ

قال الأخفش الأصغر (ت ٣١٥ هـــ): "عيدية: منسوبة إلى العيد: حي من مهرة، ورسلة: سهلة، وسبنتة: جريئة الصدر، وجسر: جسور"[2].

ثامنًا: الذقون:

الذقون من الإبل: التي تميل ذقنها إلى الأَرض فتستعين بذلك على السّير، وَالْجمع: ذقن، قال ابن مقبل:

قد صرَّح السَّيْرُ عنْ كتمانَ وابتذلتْ   وقــعُ المحاجــنِ بالمهــريةِ الذُّقــنِ

جاء في المحكم: "أي ابتذلت المهرية الذقن بِوَقع المحاجن فِيها نضربها بها، فقلب وأنّث الوقع حيثُ كان من سبب المحاجن"[1] . وكُتمان في البيت:

---

(١) ينظر : جمهرة اللغة ٣ / ١٢٧٨ ، و المجمل في اللغة ١ / ٨٠٠ ، ومقاييس اللغة ٥ / ٢٢٧ ، والصحاح ٥ / ٢٠٣٤ ، وشمس العلوم ٩ / ٦١٣٦ ، ولسان العرب ١٢ / ٥٥٨.

(٢) كتاب الاختيارين (المفضليات والأصمعيات) ، ص ٣٤٥ .

(١) المحكم ٦/ ٣٤٩ ، وينظر كذلك اللسان ١٣ / ١٧٣ .

موضع أو اسم جبل، والمحاجن: جمع محجن وهي: عصا معقوفة الطرف، والمهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة، والذّقن: جمع، مفرد الذّقون من الإبل، وهي التي تميل ذقنها إلى الأرض، وتقدير البيت: ابتذلت المهرية الذّقن بوقع المحاجن فيها نضربها بها.[١]

تاسعًا: العوج:

من الأبيات الشعرية التي تتداولها المصادر، وتظهر فيها صفة من صفات الإبل المهرية قول ذي الرمة:

وراكدِ الشَّمسِ أجَّاجٍ نصبتُ له حواجبَ القـــومِ بالمهريَّةِ العوجِ

جاء في خزانة الأدب: "أي: ربّ يَوْم راكد الشّمس أي: لا تكاد شمسه تزول من طوله، وَأَرَادَ بالأجّاج: أنّ ذَلك اليوم له توهّج واشتعال كالأجّاج بالضّمّ وهو اللهب، وقوله: نصبت لهُ أي: استقبلته بحواجب القوم، والمهريّة الْإِبِل المنسوبة إِلَى مهرَة، **والعوج الَّتِي ضمرت فاعوجّت**"[٢]. ولا تمثّل هذه الصفة صفةً خَلْقية في الناقة المهرية، بل هي صفة مكتسبة نتيجة الجهد الكبير الذي تبذله، ما يحتّم أن تكون ضامرة معوجة، لكن من غير وهن أو ضعف.

عاشرًا: الحِرْفَض:

اختلف أرباب اللغة في مدلول هذا الوصف بين كرم المنبت والضمور، لذا رأيتُ أن أفرده بعنوان مستقل. جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : "حرفض: الحِرْفَضَةُ: **الناقة الكريمة**، قال:

---

(١) ينظر : إيضاح شواهد الإيضاح ١ / ٤٥٦ ، وشرح الشواهد الشعرية ٣ / ٢٩٥ .

(٢) خزانة الأدب ٤ / ١١٠ . وتنظر الإشارة إلى البيت فقط في : الأبيات المشكلة الإعراب ، ص ٣٥٦.

وقُلُصٍ مَهْرِيَّةٍ حَرافِضِ"[1].

وجاء في تهذيب اللغة: "حرفض: قال اللَّيْث: **ناقة حِرْفَضَةٌ: كَرِيمَة**، وَأَنْشد: وقُلُصٍ مُهْرِيَّةٍ حَرَافِضِ. وَقَالَ شمر: **إبل حرافضُ إِذا كَائت مهازِيل ضوامر**"[2].

ختامًا... إنّ الناظر في الصفات التي توافرت للناقة المهرية يجدها قد تنوعت بين دقة الخَلْق من قوة الظهر وتراصفه وتدانيه، وعظم السنام، وطول الجسم، والضخامة، وبين النجابة وكرم المنبت والنسل، وبين الغرابة كالذكاء، بالإضافة إلى صفاتٍ كانت البيئة العربية القديمة في أمسّ الحاجة إليها كقوة التحمل، والسرعة، والجرأة والجسارة. وكل هذه الصفات مجتمعةً أهّلت مفخرة مهرة هذه أن تكون المفضلة والمرغوبة عند العربيّ وعند غيره، وصدق عزّ وجلّ حين قال في كتابه العزيز : ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت))[3].

---

(١) العين ٣ / ٣٢٩ .

(٢) تهذيب اللغة ٥ / ٢٠٧ . وينظر كذلك : لسان العرب ٧ / ١٣٦ ، وتاج العروس ١٨ / ٢٩٢ .

(٣) الغاشية (١٧).

المبحث الرابع

الإبل المهرية والرحلة

يبدو أنّ المزايا التي اتصفت بها الإبل المهرية من قوةِ تحملٍ ونشاطٍ وسرعة جعلتها خير راحلة يُستعان بها على السفر والتنقل من مكانٍ إلى آخر، في زمن تباعدت فيه المسافات، وازدادت فيه حاجة الإنسان العربيّ إلى الترحال لقضاء حوائجه، فكانت المهرية هي الراحلة المنتخبة والمفضلة، حتى قيل "للراحلة التي رِيضَتْ وأُدبت: قد أَرْحَلَتْ إِرْحَالاً **وأَمْهَرَتْ إِمْهاراً، إذا جَعَلها الرائِض مَهْرِيَّة وراحلةً**"[1]. لذا ارتبطت هذه المهارى في مصادر اللغة والأدب بالرحلة على وجه الخصوص، فنجد الأديب عندما يتذكر رحلته يذكر معها هذه المهارى، وكأنّها صارت للرحلة عنوانًا.

أولاً: رحلة الحج:

من خير الرحلات التي ارتبطت بها هذه الإبل **رحلة الحج** وقصد الديار المقدسة لأداء ركنٍ من أركان الدين، والقفول بعدها إلى الموطن، من ذلك الأبيات المشهورة التي قالها المضرّب عقبة بن كعب بن زهير، ومنهم من نسبها لقيس بن الملوّح، ومنها:

ولما قَضَيْنَا من مِنًى كــل حاجَةٍ ... ومسّحَ بالأركانِ مَنْ هوَ ماسحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارى رحالُنَا ... ولم يَنْظُرِ الغَادِي الذي هو رائحُ

---

(١) تهذيب اللغة ٥ / ٧ ، وينظر لسان العرب ١١ / ٢٧٨ .

أَخَـــذْنَا بأطرافِ الأحَاديثِ بَيْـــننَا وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأبَاطحُ[1]

وقد عمد الأدباء والنقّاد المتقدمون إلى الاستشهاد بهذه الأبيات لما حسُن لفظه وحلا، فرواها الشريف المرتضى في أماليه[2]، وعبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة[3]، وذكر ابن جني البيتين الأول والثالث في الخصائص[4] مثالا للشعر الرائق لفظه البسيط معناه، ورواهما القالي في ذيل الأمالي[5]، وياقوت في معجم البلدان[6]، و(المهارى) المذكورة في البيت الثاني بفتح الراء وتخفيف الياء جمع (مهرية) وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان.

ثانيًا: الرحلة في طلب العلم:

ارتبطت هذه الإبل أيضًا بالرحلة في طلب العلم على نحو ما نُقل عن الأصمعي، قال:"سهرتُ ليلةً من الليالي بالبادية، وكنتُ نازلا عند رجلٍ من بني الصيداء من أهل القصيم، وكان والله واسع الرحل، كريم المحل، فأصبحتُ وقد عزمتُ على الرجوع إلى العراق، فأتيتُ أبا مثواي، فقلتُ: إني قد هلعتُ من الغربة واشتقت أهلي، ولم أفد في قدمتي هذه إليكم **كبير علم**، وإنما كنت أغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة، فأظهر توجعا. ثم

(١) ينظر: الشعر والشعراء ١ / ٦٧.

(٢) ينظر: الأمالي ٢/ ١١٠-١١١.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة، ص (١٥)

(٤) ينظر: الخصائص ٢٢٥/١.

(٥) ينظر: الذيل، ص (١٦٦).

(٦) ينظر: معجم البلدان ١٥٩/٨.

أبرز غداءً له فتغديتُ معه، **وأمر بناقة له مهرية كأنها سبيكة لجين فارتحلها واكتفلها...**"[1].

ثالثًا: السفارة بين الملوك والأمراء:

وربّما كانت هذه النجائب وسيلة مهمة للسفارة بين الملوك والأمراء، من ذلك ما يروى عن النعمان بن منذر ملك الحيرة حين أرسل وفدًا من العرب إلى كسرى فارس، حيث تذكر المصادر: "ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك،كل رجل منهم حلة، وعمّمه عمامة، وختمه بياقوتة، **وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية** وفرس نجيبة، وكتب معهم كتابًا "[2]. فهي إذن خير مركبٍ يفد على الملوك في ذلك الزمان وما تلاه من عصور.

رابعًا: المهرية وتحمل مشاق الرحلة:

وهي أيضًا خير ما يعين على عناء الرحلة وشدهَا، فهذا الشاعر الأندلسي ابن دارج القسطلي الذي تذكر لنا كتب الأدب عودته في بعض تلك الأيام إلى قرطبة بعد أن هجرها مدةً، مجددا العهد بها، لعله يجد عند ابن حمود صاحبها الجديد ما يغنيه عن الضرب في الأرض، فمدحه بقصيدة مطلعها:

لَعَلَّكِ يَا شمسُ عند الأصيل ... شَجِيتِ لِشَجْوِ الغرِيبِ الذَّليل

ثمّ ذكّر ابن حمود بما لقيته قرطبة قبله من عناء وشدة:

---

(١) أمالي القالي ١ / ١٧٠ ، وينظر : زهر الآداب ٤ / ١٠٥٨ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ / ٢٦٢ .

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ص ١ / ٥٥ .

ومِنْ دونــنا آنســاتُ الدِّيار نهابَ الحِمى مُوحِشاتِ الطُّلُول
مغاني السُّرور لَبِسنَ الحِـداد عَلَـى لابسَاتِ ثِيـابِ الذُّهول
خطيباتِ خَطبِ النَّوى والمُهور مَهارى عليها رِحالُ الرَّحيلِ(١)

وما ذلك إلاّ لقدرة هذه المهارى على تحمل الرحلة ومشاقها. وفي السياق ذاته -سياق قدرة المهرية على تحمل مشاق الرحلة - قال جحدر بن ربيعة العكلي:

وَرَكْبٍ تَعادُوا بالنُّعاسِ كَأنَّما تَساقُوا عقارًا خَالطَتْ كُلَّ مِفْصَلِ
سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ كلُّهُ وَلاحَتْ هَوادِي الصُّبْحِ للمُتأمِّلِ
وَقَالُوا وَقَدْ مَالَتْ طلاهم من الكرى أَنِخْ إنَّها نُـعْمَى علينا وَأَفْضَـلِ
فَطَاوَعْتُهُم حتَّى أَنَاخُوا كلاًّ ولا مَهارى لَهوا منها وَلَما تعْـقلِ(٢)

وقد مضى في ذلك أيضًا قول الشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس الطائي حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شك رفقائه واستبعادهم الطريق:

يَقولُ في قُومَسٍ صَحبي وَقَد أَخَذَت مِنّا السُّرى وَخُـطا المَهرِيَّةِ القودِ
أمطلعَ الشّمْسِ تَبْـغِي أنْ تَـؤُمَّ بنا فقلتُ: كلاَّ وَلَكِنْ مطلع الجودِ(٣).

---

(١) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢٠١

(٢) ينظر: الحماسة البصرية ٢ / ٣٥٨، والتذكرة الحمدونية ٥ / ٣٩٨.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر ٢ / ٦٧. ومضت الإشارة إلى أنّ قومس: بلد بين العراق وخرسان وطبرستان بالقرب من أصفهان.

لقد توافرت للناقة المهرية قدرة عجيبة على قطع الفيافي والصحارى قد لا تتوافر لغيرها من الإبل، ما جعها مقدمةً على غيرها في الرحلة. قال أبو نواس:

إِلَيْكَ ابنَ مُسْتَنِّ البِطَاحِ رَمَتْ بِنا   مقَابلَةٌ بينَ الجَديلِ وَشَدْقَمِ
مَهَارِي إِذَا أَشْـــرَعْنَ بحرَ مَفَازةٍ   كَرَعْنَ جميعًا في إناءٍ مُقْسَّمِ[1]

والمفازة في بيت أبي نواس هي الصحراء، وربّما كانت الصحراء العظيمة، وإنّما سُمّيت مفازةً عند العرب تيمّنًا بالفوز والنجاة منها، إذْ الصحراء عادةً ما تكون مهلكةً للنفس، منهيةً للعمر، بيد أنّ المهرية إذاما شرعت فيها أوصلت صاحبها إلى برّ الأمان بإذنه تعالى.

ومثله قول أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـــ):

واستنهضتكَ إلى المآثرِ والعلا   هممٌ تخـــال زهاؤهنَ جبالا
أردفتـــهن عـــزائماً فكـــأنما   أردفَتُ مُرهفةَ النصالِ نصالا
حملْتها قلصُ الركابِ كـــأنها   قُلصُ النّعامِ إذا اتبـــعن رِيالا
مهريةٌ أودى السفارُ بنحضِها   فتخالُها تحت الرحالِ رحالا[2]

خامسًا: المهرية وتبليغ البلاد:

ربّما كانت خير نهاية لهذه الرحلة أيًّا كان نوعها أو غاية مقصدها هي تبليغ البلاد، والوصول إلى الأهل والأحباب، وفي ذلك أنشد الكسائي للكُميت الأسدي:

---

(١) ينظر: التذكرة الحمدونية ٤ / ٦١.

(٢) ديوان المعاني ٢ / ١٢٤ .

إِذَا مَا المهَارى بلّغْتنَا بِلادَنَا   فَبُعْدَ المهَارى من حَسِيرٍ وَمُتْعَبِ[1]

ومن ذلك أيضًا ما تورده لنا كتب الأدب عن أوّل من غنّى الغناء العربي، وكيف أنّ الناقة المهرية قد وردت فيه دلالةً على تبليغ البلاد. جاء في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري: "كانت الفرس والروم في أيام ابن الزبير- لما هُدمت الكعبة- يبنونها ويغنون بألحانهم، فسمعها المغنون فنقلوها إلى العربي، وكانوا قبل ذلك لا يتجاوزون الرمل والهزج، وأول من ابتدأه طويس، وطويس أول مشؤوم وُلد في الإسلام، وُلد يوم توفي صلّى الله عليه وسلم، وفُطم يوم مات أبو بكر رضى الله عنه، وبلغ الحُلم يوم قُتل عمر رضى الله عنه، وتزوج يوم قُتل عثمان رضى الله عنه، ووُلد له يوم قُتل على رضى الله عنه. وكان يُكنى أبا عبد النعيم، وكان يقول: أنا أبو عبد النعيم، وأنا طاؤوس الجحيم، واحتج من قال: أن أول من غنّى جرادة بأنّ إسحاق الموصلي ذكر للجرادتين، جاريتي عبد الله بن جدعان في المائة المختارة لحنًا من الثقيل الأول وهو:

أقفرَ مِن أهلِهِ مَصيفُ   فبطنُ نخلةٍ فالعَريفُ
هل تُبلغنّي ديارَ قومي   مهريّةٌ سيرُها لفيفُ
يا أمَّ عُثمانَ نوّلينا   قدْ ينفعُ السّائلُ الطّفيفُ
أعمامُها الشُّمُّ من لؤيٍّ   صيدٌ وأخوالُها ثقيفُ "[2]

---

(١) ينظر: شرح الشواهد الشعرية ١ / ٢٠٠ . والحسير: الكليل المُجهد.

(٢) الأوائل للعسكري، ص (٣٩٤).

فأوّل غناء عربيّ إذن جاء فيه ذكرٌ للناقة المهرية، وقد وصف الشاعر سيرها هنا باللفيف، وربّما كان مقصوده بذلك المتنوّع، كما وصفها بالراحلة التي تبلّغ ديار القوم.

ختامًا...من طريف ما تذكره المصادر عن الناقة المهرية والرحلة أنّها تُفسِّر عند رؤيتها في المنام بقطع الطريق، جاء في حياة الحيوان: "الناقة في الرؤيا امرأة، فإن كانت من البخت فهي أعجمية، وإن كانت غير بختية فهي امرأة عربية، فمن رأى كأنه حلب ناقة تزوج امرأة صالحة، ومن كان متزوجا وحلب ناقة رزق ولدا ذكرًا، وربما رزق بنتًا، ومن رأى ناقة ومعها فصيلها فإنه يدل على ظهور آية وفتنة عامة. وقال ابن سيرين: الناقة المحدوجة[(١)] سفر في بر، **ومن ركب ناقة مهرية في منامه سافر وقطع عليها الطريق**، ومن حلب النوق في منامه فإنه يلي ولاية يجمع فيها الزكاة"[(٢)].

---

(١) الحِدْج : مَركَب من مراكب النساء كالهَوْدج والمِحَفَّة.

(٢) حياة الحيوان ٢ / ٤٦٠ .

الفصل الثالث

طائفة من أخبار مهرة

في مصادر اللغة والأدب

إضاءة:

تحفل مصادر اللغة والأدب بعدد لا بأس به من أخبار مهرة، وتتوزع هذه الأخبار بين المواضع والمساكن والثروات والبطون والشخصيات، كما تتناثر فيها طائفةٌ ثانية من الأخبار التي تتحدث عن أسواقها، وبعضٍ من صفات أهلها، ووفودها، وحدود أرضها، وربّما غرائبها. لذا قُسّم هذا الفصل على مباحث ثلاثة: عنى الأول بذكر بعض المواضع المهرية في الأرض العربية قديمًا، وخُصّص الثاني لبطون مهرة وشخصياتها الغابرة، وساق الثالث طائفةً من أخبارها التليدة. وينبغي التنويه هنا أنّ الحديث عن هذه الأمور كان مقصورًا على مصادر اللغة والأدب ليس غير، فلم يتناول الكتاب مهرة في كتب الأنساب أو التاريخ أو الطبقات أو غيرها، رغبةً منه في ترك هكذا تفاصيل لأصحابها من المتخصصين، وإلاّ فالحديث عنها في تلكم المظان كثيرٌ وطويلٌ وغزير.

المبحث الأول

مواضع مهرية في الجزيرة العربية

أولاً: إضاءة: جزيرة العرب:

وصف الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) حدود جزيرة العرب فقال: "جزيرة العرب من أقصى عَدَن أبين إلى ريف العراق، وأمّا العرض فمن جُدَّةَ وما والاها من ساحل البحرِ إلى أطراف الشَّام. قالوا: ومكّة والمدينَة واليمَامَةُ واليمن من الجزيرة .وعن مالك: أجلَى عُمَر – رضي اللّه عنه – أهل نجران ولم يُجْلِ أهل تَيْمَاءَ لأَنّها ليستْ من بلاد العرب. قال: وأما الوادي يعني وادي القرى وهو بالشام فأرَى أنّه إنمَا لم يُجْلِ مَن فيها من اليهود لأنّهم لم يروها من أرض العرب. وفي كتاب العُشْرِ والخرَاج قال أبو يوسف في الأمالي: حدود أرض العرب ما وراء حدود الكوفة **إلى أقصى صخر باليمن وهو مهرة**" [١]. ويبدو أنّ المقصود بـ (أقصى صخرٍ باليمن وهو مهرة) آخر نقطة في جنوب جزيرة العرب وهي بلاد الشحر موطن مهرة، إذ تشكل – مع ما جاورها – نهاية بلاد العرب جنوبًا.

ومن المعاصرين من وصف جزيرة العرب بقوله: "وجزيرة العرب هضبة كبيرة مكونة من جبال وصحارى رملية، أما الصحارى فأهمها اثنتان:

١- صحراء السماوة: وتسمى بادية السماوة أو صحراء النفود، وتشمل معظم شمالي الجزيرة، ورمالها وعثاء[٢] يصعب فيها السير، وتسوخ[٣] فيها

---

(١) المُغرِب، ص (٨٢).

(٢) الوعثاء: المشقة والتعب في السفر وفي غيره، وهي أيضًا كلّ خصلة مكروهة.

(٣) تسوخ: تغوص

القدم، وسكانها بدو رحل، يقيمون فيها شتاءً، ويرحلون عنها صيفًا إلى التخوم[1] الشمالية طلبا للماء والكلأ[2]، وجنوبيها جبل شمر وهو على صورة هلال يتقوس عند انحداره نحو الجنوب، ويسمى جبل طيء، وهو غزير المطر، معتدل الجو.

٢- صحراء الربع الخالي: وفيها بلاد الأحقاف، وهي شمالي حضرموت وكانت الأحقاف مسكنًا لعاد قوم هود، **ومن هذه الصحراء جزء يسمى الدهناء شمالي مهرة**، وتتصل هذه الصحراء ببادية السماوة، وتمتد شرقًا إلى الخليج، وأرضها مستوية صلبة انتشرت الحصباء فيها، وهي مجدبة وقد يترل بها مطر قليل، فينبت عليه بعض الكلأ، ويقيم بها البدو شتاء ويرحلون عنها صيفا" [3].

ثانيًا: الأحقاف:

وعن المقصود بالأحقاف فقد نقل الزبيديّ عن ياقوت أقوالاً ثلاثة غير مختلفٍ في المراد بها، بدأها بمعنى لفظة (الحقف)؛ فقال: "هو الرَّمل العظيمُ المستدير قاله ابن عَرَفَة، أو الكثيبُ منه إذا تقوَّس قاله ابن دُريد، أو المستطيل المشرف قاله الفرّاء، **أو هي رمالٌ مستطيلَة بناحية الشِّحْر**، وبه فُسِّر قوله تعالى: ((وَاذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ))[4]. قال الجوهريّ: وهي

(١) التخوم: الأطراف.

(٢) الكلأ: العشب.

(٣) قصة الأدب في الحجاز، ص (١٥).

(٤) سورة الأحقاف (٢١).

ديار عاد، وقال ابن عرفة: قوم عاد كانت منازلهم في الرِّمال، وهي الأحقاف، وفي المعجم: **وروي عن ابن عبّاس أنّها وادٍ بين عُمَان وأرض مهْرَةَ**، وقال ابن إسحاق: الأحقافُ: رملٌ فيما بين عُمان إلى حضرموت، **وقال قتادة: الأَحقاف: رمالٌ مشرفةٌ على البحرِ بالشِّحْرِ من أرض اليمن**، قال ياقوت: فهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى"[1].

والحقُّ أنّ خلاف الباحثين اليوم في أرض عاد كبير وكثير، بل مازالت هذه الأرض بالنسبة إليهم سرًّا من الأسرار، وربّما لغزًا من الألغاز التي استعصت على الحملات الأثرية وأرباب علم الإنسان، فلم يتمكنوا إلى يومنا هذا من فكّ طلاسمها والتعرف عل كُنهها، رغم أنّها حضارةٌ عظيمةٌ وصفها القرآن الكريم بالتي لم يُخلق مثلها في البلاد. وما يعنينا هنا أنّه عندما تُذكر حضارة عاد المنيعة هذه تُذكر معها في أغلب الأحيان أرض مهرة، وكأنّ هناك علاقةً من نوعٍ ما، أو قرابة جغرافية من نوع ما ربّما كانت الأيام القادمة كفيلة بإيضاحها.

ثالثًا: وصف بلاد مهرة:

وصف القلقشندي بلاد مهرة بقوله: "بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر، والمراد بمهرة: بنو مهرة بن حيدان: قبيلة من قبائل اليمن؛ وقد بسطتُ القول على ذلك في كتابي المسمّى بنهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، وموقعها في الإقليم الأوّل. قال في الأطوال : وآخرها

(١) تاج العروس ١٥٦/٢٣.

حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض ستّ عشرة درجة. قال في تقويم البلدان : **وليس بها نخيل ولا زرع وإنما أموال أهلها الإبل**"[1].

وتُذكر مهرة في المصادر عند الحديث عن موضعٍ ما، أو عند رسم حدود مكان ما، بعدّها آخر نقطة في بلاد العرب جنوبًا، من ذلك حديث النويري عن حدود بحر الهند وجزائره، إذ قال: "فمبدؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء، ويجرى إلى جهة الغرب، فيجتاز ببلاد الواق، وبلاد سفالة الزنج؛ ثم ببلاد الزنج حتّى يصل إلى بلاد بربرا، وهناك حجزه.وأما الشرقي: فمبدؤه من لوقين، وهى أوّل مرافئ الصين ثم بخانقو فرضة الصين العظمى؛ ثم إلى سمندور من بلاد الهند؛ ثم إلى حارتين، إلى قندرينه، إلى تانة، إلى سندابور، إلى بروص، ويقال بروج، وإليها ينسب القماش البروجى، إلى صيمور، إلى سندان، إلى سوتارة، إلى كنباية وإليها ينسب القماش الكنبايتي، إلى ديبل وهى أوّل مرافئ السند؛ ثم إلى سرون، ثم إلى التّيز من بلاد مكران، وهى أحد ركني الخليج الفارسي، والركن الآخر يسمى رأس الجمحة: وهو جبل خارج في البحر، ومن هناك يسمى بحر اليمن، ثم يمتدّ على ظفار؛ **ثم على الشّحر ساحل بلاد مهرة؛** ثم على شرمة ولسعا ساحلي بلاد حضرموت، ثم على أبين، ثم على عدن، ثم المخنق، ثم العارة، ثم يمتدّ إلى باب المندب" [2]. وقال في موضع قريب من الأول: "ويلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر اليمن، وأوّله بحر الجمحة، وهو بلاد مهرة معترض في البحر فيمرّ

---

(١) صبح الأعشى ٥/١٤.

(٢) نهاية الأرب ١/٢٣٧.

بحاسك؛ ثم يمرّ بمرباط (ساحل بلاد ظفار)؛ **ثم يمرّ بالشّحر (ساحل بلاد مهرة)؛** ثم بشرمة ولسعا (ساحلي بلاد حضرموت) ؛ ثم بأبين؛ ثم بعدن..."[1].

وقد وصف الورد بن الورد العجلي وهو شاعرٌ مغمور لا يُعرف عنه الكثير غربته في أرض مهرة فقال:

أمُغترباً أصبحتَ في دارِ مهرةٍ ... ألا كلُّ نجديٍّ هناكَ غريبُ
إذا هبَّ عُلويُّ الرِّياحِ وجدتَني ... كأنِّي لعُلويِّ الرِّياحِ نسيبُ
ألا حبَّذا الإصعادُ لو تستطيعهُ ... ولكنْ أجلْ لا ما أقامَ عسيبُ
فإنْ مرَّ ركبٌ مُصعدونَ فقلبهُ ... معَ المُصعدينَ الرَّائحينَ جنيبُ
سلِ الرِّيحَ إنْ هبَّتْ جنوباً ضعيفةً ... متى عهدُها بالدَّيرِ زِير حبيبُ
متى عهدُها بالمُوقلاتِ وحبَّذا ... شواكلُ ذاكَ العيشِ حينَ يطيبُ
ولا خيرَ في الدُّنيا إذا أنتَ لمْ تزرْ ... حبيباً ولمْ يطربْ إليكَ حبيبُ [2]

رابعًا: مواضع من أرض مهرة:

تذكر لنا المصادر عددًا من المواضع في أرض مهرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

* جاء في جمهرة اللغة: "الحوف: جلد يشق ثمَّ يَجْعَل كَهَيئَةِ الإِزَار يلْبسهُ الصّبيان.**والحوف: مَوضِع زَعَمُوا،** والحوف فِي لُغَة مهرَة بن حيدان:

---

(١) نهاية الأرب ٢٤١/١.

(٢) الزهرة ٧٧/٢.

الثَّوْب"[1]. والحقُّ أنّ (حوف) اليوم هي آخر موضعٍ في بلاد مهرة من جهة الشرق، أو هي البوابة الشرقية للمهرة من جهة سلطنة عُمان، ومايزال هذا المسمى حاضرًا مستعملاً، وأبرز ما تشتهر به (حوف) في أيامنا هذه اعتدال جوّها في أشهر الصيف، ووفرة أمطارها، كما تكسوها الخضرة من قمم جبالها وصولاً إلى ساحلها بحر العرب.

* وجاء في كتاب (في التعريب والمعرب): "قَالَ أَبُو مَنْصُور: رتبيل ملك سجستان، قَالَ الفرزدق (من الكامل):

وتراجع الطرداء إذْ وثقوا بالأمنِ من رتبيلَ والشحرِ

والشحر سَاحل مهرَة بِالْيمن. قَالَ ابْن بري وَقَبله:

وَإِلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَتْ أروى الهضابِ بِهِ من الذعرِ

والشحر: شحر عمان وَهُوَ سَاحل الْبَحْرين وعمان وعدن، ورتبيل ولي فِي عهد كابل شاه" [2].

* وجاء في القاموس المحيط عند حديث الفيروزآبادي عن معنى لفظة **(نجد)**:"**وأرضٌ ببلاد مَهْرة في أقصى اليمن**" [3]. وأضاف صاحب تاج العروس: "**وهو صقْعٌ واسعٌ من وراء عُمان**" [4].

* وجاء فيه أيضًا: "**غُبُّ العُقار: قرب بلاد مهرة**" (٥). وأضاف صاحب التاج: "وَهُوَ بَلَدٌ بَحْرِيّ كَذَا فِي المعجم".[6]

---

(١) جمهرة اللغة ٥٥٧/١.

(٢) في التعريب والمعرّب، ص (٩٤).

(٣) القاموس المحيط ٣٢١/١.

(٤) تاج العروس ٢٠٤/٩.

(٥) القاموس المحيط ٤٤٤/١.

(٦) تاج العروس ١١٤/١٣-١١٥.

* وجاء فيه أيضًا: "الرّوضةُ والرِيضةُ بالكسر من الرمل والعشب: مُستنقع الماء، لاسْتِراضَةِ الماءِ فيها، ونحوُ النصف من القربة، وكل ماء يجتمع في الإِخاذات والمساكات. ج:روضٌ ورياضٌ وريضانٌ. **والرياض: ع بين مهرة وحضرموت.ورياض الرّوضة: ع بمهرة**"[١]، وقصد المؤلف بالرمز (ع) الموضع.

* وجاء في تاج العروس: "وذو نَعْب: من أذواء حِمْير من بني أَلْهانَ بن مالك أخي همْدان بن مالك. **ويَنْعَب: موضعٌ بأرض مهرة من أقاصي اليمن** له ذكر في الرِّدة. وقال ابن الأعرابيّ: أَنْعَبَ الرَّجل إنعاباً: إذا نعَر في الفتن" [٢].

* وجاء فيه أيضًا : "قال ابن ميادة:

ظَلَّتْ بروْضِ البَرَدَانِ تَغْتَسِلْ   تَشْرَبُ مِنْهَا نَهلاَتٍ وتَعُـــلْ

والبَرَدَانُ أيضاً: ماءٌ بالسَّماوة دون الجَناب وبعدالجِنْي من جهة العراق، وقال الأصمعيّ: البَرَدَانُ: ماءٌ بنجدٍ لعُقيل بن عامر، بينهم وبين هلال بن عامر، وقال ابن زيادٍ: **البَرَدَانُ في أقصى بلاد عُقيل وأَوّل بلاد مهرة.** وأنشد: ظَلَّتْ بروْضِ البَردَانِ تَغتسلْ"[٣].

* وجاء فيه أيضًا: "**وظَهُورٌ، كصَبُورٍ: موضعٌ بأَرض مهرة**" [٤].

* وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري: "**في بلاد مهرة ركية خسيف لا يبلغ قعرها،** يسقط فيها الجمل فيرسب ثم لا يطفو، يقال لها أم عرام؛ وتقول مهرة لكل ميؤس منه: غالته أم عرّام"[٥].

---

(١) القاموس المحيط ١ /٦٤٤. وينظر: تاج العروس ١٨/٣٦٩-٣٧٠.

(٢) تاج العروس ٤/٢٩٠.

(٣) تاج العروس ٧/٤٢٣.

(٤) السابق ١٢/٤٩٩.

(٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١/١٨٩.

* وجاء في معجم البلدان: " جَيْرُوتُ : بالفتح ، وآخره تاء فوقها نقطتان : من **بلاد مهرة في أقصى أرض قضاعة** ، لها ذكر في حديث الرِّدّة" [١].

إنّ أغلب هذه المواضع التي أتت على ذكرها بعض مصادر اللغة والأدب لم تعد موجودةً اليوم، إن لم تكن كلّها، فكأنّ مسميات هذه المواضع قد تبدّلت، وحلّت محلها مسميات جديدة، وهي سنة تجري عليها المواضع والبلدان في كل زمان ومكان.

خامسًا: ثروات مهرة:

قد تأتي المصادر على ذكر ثروات هذه البلاد وأشجارها، من ذلك ما أورده صاحب كتاب مجاني الأدب في حدائق العرب عند حديثه عن (العنبر) إذ قال: "وذلك أن **العنبر** أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب، وأهل الشحر أناس من قضاعة بن حمير وغيرهم من العرب، **ويدعى من سكن هذا البلد من العرب المهرة**، أصحاب شُعُور وجمم ولغتهم بخلاف لغة العرب، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلاً من الكاف وغير ذلك في خطابهم ونوادر كلامهم، وهم ذوو فقر وفاقة، ولهم نجب يركبونها بالليل تعرفب النجب المهرية تشبه في السرعة النجب البجاوية، بل عند جماعة أنها أسرع منها، يسيرون عليها على ساحل بحرهم. **وأجود العنبر ما وقع إلى هذه الناحية** وإلى جزائر الزنج وساحله، وهو المدور الأزرق" [٢].

---

(١) معجم البلدان ١١٢/٣.

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٤٧/١-١٤٨.

إذن يُعدّ العنبر من أهم الثروات الموجودة في بلاد مهرة، وهو من السلع النفيسة قديمًا وحديثًا، ومازال أهل مهرة يحصلون على هذه الثروة ملقاةً على بحرهم، وقد يحصلون عليها من حوت العنبر نفسه عندما يجنح إلى ساحلهم، فيُشقّ ويُستخرج منه العنبر.

ومن تلكم الثروات أيضًا ما أورده الدكتور علي الجندي عند حديثه عن مراعي جزيرة العرب وأشجارها وغاباتها، قال: " وبطبيعة الحال توجد المراعي في الأماكن التي تسقط فيها الأمطار، ولكن الزراعة التي تستوجب استقرار السكان معها لا توجد إلا في البقاع التي تكثر فيها الأمطار أو ينابيع المياه، وكما في أغلب جهات اليمن، وفي الواحات التي توجد في الأودية والسهول، فتبنى القرى حيث يسكنها أصحابها، ويقيمون فيها، ولا يظعنون[1] عنها. وتوجد الأشجار في سفوح الجبال، ولكن ليس في بلاد العرب غابات، لأنها لا توجد إلا حيث تسقط الأمطار بغزارة وعلى الدوام، ويكثر النخيل في الحجاز، **ولا يزال شجر اللبان يزدهر على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبي لا سيما في مهرة،** ويوجد في البادية: عدة أنواع من شجر السنط والأثل والغضا والطلح الذي يستخرج منه الصمغ العربي، كما توجد الكمأة. وأما شجرة البن التي تشتهر بها اليمن اليوم فقد أدخلت إلى بلاد العرب الجنوبية من الحبشة في القرن الرابع عشر، هذا إلى جانب أشجار الفواكه وغيرها التي تنبت في الأماكن الخصبة، مثل البطيخ، والعنب والتين والخوخ والسفرجل، والزيتون والورود.ولقلة الغابات فيها قلت حيواناتها

---

(١) يظعنون: يرحلون ويسيرون.

الوحشية، وإن كان يوجد في جبالها النمر والضبع والذئب وابن آوي، كما يوجد في صحاريها الحمار الوحشي والنعام والغزلان، وبقر الوحش والظباء"[١].

لقد مثّل اللُّبان ومايزال ثروةً مهمة في بلاد مهرة وظفار عُمان، بل لازال الناس إلى أيامنا هذه يعدّدون فوائده ومنافعه الطبية والعطرية، كما يتناقلون أحاديث طريق اللّبان الذي كان يمرّ في تلك المواضع إبّان ما كانت تجارته رائجة وشهرته ذائعة.

وقد أورد الدكتور شوقي ضيف اسمًا آخر لهذه السلعة الغالية عند حديثه عن أشهر مدن اليمن في العصر الجاهلي، إذ قال: "ومن أشهر مدن اليمن زبيد وظفار وصنعاء وعدن، ومن أشهر وديانها تبالة وبيشة وكان به مأسدة، وتمتد شرقي اليمن حضرموت على ساحل بحر العرب؛ فإقليم مهرة والشحر (ومعناه في اللغة الجنوبية الساحل)، **وتنمو في جباله أشجار الكُنْدُر** وهو اللبان الذي اشتهر به جنوبي بلاد العرب في الجاهلية" [٢].

وربّما كان من اللطيف أن نختم هذا المبحث بواحدة من بدائع الأشعار التي جاء فيها ذكر أرض مهرة، ألا وهي قصيدة الشاعر العباسي الكبير أبي تمام التي اعتذر فيها إلى ابن أبي داود، واصفًا جودة شعره، فقال:

خُذْهَا مُثَقَّفَةَ القَوافي رَبُّها ... لسوابغِ النَّعماءِ غيرَ كَنُودِ

حَذَّاءَ تملأُ كلَّ أُذنٍ حكمةً ... وبلاغةً وتُدرُّ كُلَّ وَرِيدِ

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، ص (١٥).

(٢) تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، ص(٢٠).

كالطّعنةِ النّجلاءِ من يدِ ثائرٍ		بأخيهِ أو كالضربةِ الأُخدودِ
كالدُّرِ والمرجانِ أُلّفَ نَظْمُهُ		بالشَّذْرِ في عنقِ الفتاةِ الرُّودِ
كشقيقةِ البَرْدِ المُنَمْنَمِ وَشْيُهُ		في أرضِ مهرةَ أو بلادِ تَزيدِ
يُعطي لها البُشْرَى الكريمُ ويحتبي		بردائِها في المحفلِ المشهودِ[١]

وجاء في ثمار القلوب للثعالبي: "برود تزيد يضْرب بها المثل كما يُضرب ببرود اليمن، والعرب تنْسب البرود الفاخرة إلى تزيد،**وتزعم أنّها قبيلة للجن**" [٢]. والغالب أن تكون (تزيد) التي ذكرها أبو تمام مع مهرة نسبةً إلى تزيد بن حيدان وهو أخو مهرة، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي عند الحديث عن بطون قضاعة، كما يُلاحظ أنّ الأساطير والارتباط بعالم الجنّ قد دار كثيرًا حول مهرة وتزيد وبلادهما، ما جعل الثعالبي وغيره يجعلونها من قبائل الجن.

(١) تنظر الأبيات في: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ٦٨١/٣، والمنتحل للثعالبي ص (١٩)، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص (٤٢٧).

(٢) ثمار القلوب، ص (٥٩٨).

المبحث الثاني

بطون مهرة وشخصياتها

تورد بعض المصادر اللغوية والأدبية أسماء عددٍ من بطون مهرة وشخصياتها في التاريخ القديم، جلّها – أي الأسماء – لم يعد متداولاً في أيامنا هذه، وعادة ما تنسب هذه المصادر مهرة إلى قضاعة. فمن هو قضاعة؟

أولاً: قضاعة:

من المصادر المتقدمة التي عنت بالحديث عن قضاعة كتاب (الاشتقاق) لابن دريد، حيث عقد الصفحات الأخيرة منه لأنساب قضاعة، وبدأ حديثه باشتقاق هذه اللفظة فقال: " واشتقاق قضاعة من شيئين: إمّا من قولهم: انقضع الرجل عن أهله، إذا بعُد عنهم؛ أو من قولهم: تقضَّعَ بطنُه، إذا أوجعَه، أو وجَدَ في جوفه وجعاً"[1].

ونقل الدكتور علي الجندي في كتابه تاريخ الأدب عن ابن حزم قوله: "قال قوم: هو قضاعة بن عدنان، وقال قوم: هو قضاعة بن مالك بن حمير، وقال قوم منهم الكلبي: هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. والله أعلم. وبعض النسابين يجعلون قضاعة جذمًا[2] مستقلاً مثل جذم قحطان وعدنان، ومرد هذا الاختلاف إلى عوامل سياسية أثّرت تأثيرًا كبيرًا في تصنيف الأنساب، ولا سيما في أيام معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لرؤساء قضاعة في سبيل حملهم على الانتفاء من اليمن

---

(١) الاشتقاق لابن دريد ص(٥٣٦)

(٢) الجذم: القطعة والقِسم.

والانتساب إلى معد، لكونها قوة كبيرة في بلاد الشام في ذلك العهد، ولا سيما أن منهم بني كلب، فذكر أنّ زعماءها وافقوا بسبب هذه المغريات على الانتساب إلى معد، غير أن الأكثرية رفضت ذلك، وأبت إلاّ الانتساب إلى قحطان. ويقال إن: **قضاعة كانوا ملوكًا في بلاد الشّحر،** ثم ملكوا نجران، فغلبهم عليها بنو الحارث بن كعب بن الأزد، فهاجروا إلى الحجاز من جراء ذلك، ودخلوا في قبائل معد، ومن أجل ذلك نسبوا إلى عدنان، والصحيح أن أم قضاعة مات عنها مالك بن حمير، وهي حامل بقضاعة، فتزوجها معد، وولدت قضاعة في حجره، وإذا كان الأمر كذلك فقضاعة من الجنوبيين من نسل حمير" [١].

والحقّ أنّ معظم مصادر الأنساب والتاريخ تكاد تُجمِع على أنّ قضاعة من حمير، فلا هي قسمٌ مستقل عن قحطان، ولا هي منتسبة إلى معد، وربّما كان هذا الرأي هو الرأي الذي يُطمَأنّ إليه. ولمستزيدٍ أن يعود إلى المظان التي تحدثت عن ذلك ففيها زيادةٌ وتفصيل لا يُعنى بها الكتاب في هذا المقام.

ثانيًا: بطون قضاعة:

أمّا بطون قضاعة فقد فصّلها النويري وأطال في تفصيلها، فذكر الآراء المختلفة فيها حتى وصل إلى مهرة، فقال: "ومن قضاعة ثلاث بطون: وهم عمران بن الحاف بن قضاعة، وعمرو بن الحاف، وأسلم بن الحاف بن قضاعة. فأما البطن الأولى من قضاعة: وهم ولد عمران، فأعقب حلوان بن

---

(١) في تاريخ الأدب، ص (٣٤-٣٥).

عمران بن الحاف بن قضاعة من خمس قبائل: وهم تغلب الغلباء، ويقال: تغلبيّ قضاعيّ أو يمنيّ، يراد به هذا الأب؛ وتغلبيّ معدّيّ أو نزاريّ، فيراد به تغلب بن وائل بن قاسط الذى في أسد بن ربيعة بن نزار؛ وعشم بن حلوان، وزبّان بن حلوان، وعمرو بن حلوان وهو سليح، وتَزيد بن حلوان (بالتاء باثنتين من فوق وفتحها) .والعقب من تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة: وبرة بن تغلب. والعقب من وبرة بن تغلب من خمس أفخاذ: كلب بن وبرة، وإليه ينسب كلّ كلبيّ، وفيهم عدة أفخاذ وعشائر: كبني عوف، وبني ضمضم، وبني غليم، وبني زهير، وبني كنانة، والجميع عشائر يرجعون إلى عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب، وعرينة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عرنيّ، وأسد بن وبرة، والبرك بن وبرة، والنّمر بن وبرة، والتغلب بن وبرة، وفهد، وضبع، ودبّ، وسيد، وسرحان، وذئب أولاد وبرة بن تغلب الغلباء. فمن أسد بن وبرة: بنو القين بن جسر بن شيع الله بن أسد، وتنوخ: وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد؛ وإلى تنوخ هذا ينسب كلّ تنوخيّ؛ وإليه يرجع أبو العلاء المعرّى الشاعر. وأعقب نمر بن وبرة بن تغلب في ثلاث أفخاذ: خشين، وإليه يرجع كلّ خشنيّ وهو نمير، منهم أبو ثعلبة الخشنيّ الصحابيّ رضى الله عنه؛ ومشجعة بن تيم بن النّمر بن وبرة، وإليه يرجع كلّ مشجعيّ، وغاضرة بن النّمر، وعاتية بن النمر إلا أنهما دخيلان في سليم. قالوا: عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور. وأما زبّان بن حلوان فأعقب من جرم بن زبّان، وإليه

يرجع كلّ جرميّ. وفي جرم عدة بطون: منها ملكان بن جرم بفتح الميم واللام.

وأما عمرو بن الحاف بن قضاعة فأعقب من ثلاث أفخاذ: بلىّ بن عمرو، وبهراء بن عمرو، وحيدان، وقيل: حدّان بن عمرو؛ وإلى بليّ هذا ينسب كلّ بلويّ ككعب بن عجرة البلويّ، وبنو العجلان، وبنو أنيف، وبنو عصية : وهم كلّهم حلفاء الأنصار: بني عمرو بن عوف من الأوس وهي قبائل من بلىّ في الأنصار، منهم: المجذّر بن زياد، وطلحة بن البرّاق، وأبو بردة بن نيار الصحابيّ بلويّ حليف الأنصار واسمه هانئ. وأما بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فإليه ينسب كلّ بهرانيّ كالمقداد بن الأسود الكنديّ، ولم يكن كنديّا ولكن كان بهرانيّا قضاعيّا، لأنه المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤيّ بن ثعلبة بن مالك بن الشّريد بن أبي أهون بن قيس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء. وإنما قيل المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، تبنّاه لحلف كان بينهم فنُسب إليه، وكان أبوه عمرو حليفا في كندة.وفي بهراء بطون.

وأما حيدان، ويقال: حدّان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فمن بطونه خمس: عريب بن حيدان، وعريد بن حيدان، وتزيد بن حيدان؛ وإليه تنسب الثياب التّزيدية، **ومهرة بن حيدان**، وإلى مهرة هذا ينسب كلّ مهريّ، وفي مهرة أفخاذ، وحيادة بن حيدان" (١).

---

(١) نهاية الأرب ٢/٢٩٤-٢٩٦.

إنّ سلسلة النسب الطويلة هذه تُظهر مهرة منتسبين إلى قضاعة، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أنّ مساكن قضاعة قديمًا جنوب جزيرة العرب، كما تُظهر أبناء عمومة مهرة وهم: عريب وعريد وتزيد وحيادة. تجدر الإشارة إلى أنّ تفاصيل أوفى قد يجدها الباحث في كتب الأنساب باعتبار أنّ عناية هذا الكتاب تتوقف عند مصادر اللغة والأدب ليس غير.

ثالثًا: من بطون مهرة:

ربّما يجدر بنا عند الحديث عن بعض بطون مهرة أن تكون البداية مع حيدان أو بني حيدان، جاء في المحكم: "بنو حيدان: بطن، قال ابن الكلبيّ: **هو أبو مهرة بن حَيْدانَ**" [(١)]، وفصّل نشوان الحميري المعنى اللغوي للفظة ثم ذكر أنّه أبٌ لمهرة فقال:"الحَيْدان: ما حاد من الحصى عن قوائم الدابة في السير. **وحَيْدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة أبو مهرة بن حيدان.** قال جميل بن معمر:

ومَلْحاءَ مِن حيدانَ صِيْدٌ رِجَالُها   إذا حشدَتْ كادتْ على الناسِ تُضعفُ"[(٢)]

والملحاء في البيت: المليحة الجميلة، وصيدٌ رجالها: أي كرام.

ومن بطون مهرة التي تحدثت عنها المصادر في أكثر من موضع:

* قِرْضِم أو فِرضِم: على خلاف بينها في اللفظ أ هو بالقاف أم بالفاء؟ جاء في جمهرة اللغة: "**وقِرْضِم: اسم بطن من مَهْرة بن حَيْدان**، منهم العُجيل بن فُلان، وفد إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم"[(٣)]، وجاء في المحكم: "ورجل

---

(١) المحكم ٣/٤٢٩. وينظر: لسان العرب ٣/١٦٠، وتاج العروس ٨/٥٠.

(٢) شمس العلوم ٣/١٦٤٧.

(٣) جمهرة اللغة ٢/١١٥٣. وينظر أيضًا: ٢/١١٨٣.

قراضم، وقرضم: يقرضم كل شيء، والقرضم: قشر الرُّمّان، وهو يدبغ به، **والقرضم: أبو قبيلة من مهرَة بن حيدان**" [1]، ونصّ الفيروزآبادي على أنّه بالفاء، والقاف فيه تصحيف؛ قال: "الفِرْضِم، كزِبْرِج: الشاة الكبيرة المسنّة، أو المكسورة القَرنين، والدَّرداء الفم، **وأبو بطن من مَهرَة بن حَيْدان، وبالقاف تَصْحيف**، ووالد ذَهْبَن الصّحابيّ" [2]، وفصّل الزبيدي نسب هذا البطن جاعلاً اللفظة بالفاء لا القاف، فقال: " فِرْضِمٌ: **أبو بطن من مهرة بن حَيدان**، وهو فِرْضِمُ بن العُجَيْلِ بن قُبَاث بن قُمْرِيٍّ بن يقلل بن النَّدْغِيٍّ بن مهرة، وبالقاف تصحيفٌ، وفِرْضِمٌ والد ذَهْبَن الصحابي له وفادةٌ، استدركه النّسائيّ، وهكذا ضبطه الأمير بالفاء، وضبطه الدَّارَقُطْنِيُّ بِالقاف"[3]. وأورد بعد ذلك قول ذي الرمة يصف إبلاً مذكورًا فيه البطن بالقاف!! مخالفًا بذلك ما نصّ عليه من أنّ اللفظ بالفاء:

مَهَارِيسَ مِثْلَ الهَضْبِ تَنْمِي فُحُولُها   إِلَى السِّرِّ من أَذْوَادِ رَهْطِ بنِ قِرْضِمِ[4]

وفي شرح ديوان ذي الرُّمة: "مهاريس: شديدات الأكل تهرس هرساً، وتنمي فحول هذه الإبل: ترتفع، والسر: الموضع الصالح والنسب الخالص، وقرضم: من مهرة، والهضب: الجبل الصغير، فأراد: أن هذه الإبل مثل الهضب، والأذواد: جمع ذود: وهو ما بين الثلاث إلى العشر"[5].

---

(١) المحكم ٦/٦٠٧.

(٢) القاموس المحيط ص (١١٤٥) و ص (١١٤٨).

(٣) تاج العروس ٢٣/٢٠٦.

(٤) السابق ٣٣/٢٦١.

(٥) ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي ٢/١١٨٠ – ١١٨١.

* **قَمَر وقُمير:**

من بطون مهرة التي ذكرتها المصادر بنو قمر، جاء في المحكم: "وبنو قمر: **بطن من مهرَة بن حيدان. وبنو قمير: بطن منهم.** وقمار: موضع، إليه يُنسب العود القماري" [(١)]، وفصّل الزبيدي كعادته نسب هذا البطن ومكان سكناه وهو غبّة القمر، بيد أنّه نقل اختلافًا في النسب فقال: "وبنو قَمَر، مُحرّكةً: **حيٌّ من مهْرَة بن حيْدان. وغُبُّ القَمرِ: موضع بين ظفار والشِّحْر**، على يمين من أيمَنَ من الهند قاله الصاغانيّ. **وبنو قُمَيْر، كزُبَيْر: بطن من مهْرَة** كذا قاله الحَافظُ، **والصَّوابُ أنّه بطنٌ من خُزَاعَة**، وهو قُمَيْرُ بن حُبَشِيَّة بن سَلُول، مِنْهم بُسْر بن سفيان" [(٢)]. تجدر الإشارة إلى أنّ (بني قمير) بطنٌ مازال موجودًا حتى أيامنا هذه، ومواطن سكناه المنطقة الشرقية من محافظة المهرة باليمن.

* **كُرشان:**

ومن هذه البطون أيضًا كرشان بن الآمري، وتشير المادة الثلاثية لهذه اللفظة إلى الوعاء سواءً أكان من الجلد المدبوغ أم من غيره. قال ابن دريد في مادة (كرش): "وكَرِشُ الرجل: وعاء يحفظ فيه نفيس متاعه، وفي حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: الأنصار كرشي وعَيْبَتي[(٣)]، أي الذين أطلعهم على أسراري، ووجه الحديث: كرِشي، أي مددي، أي الذين استمدّهم لأن

---

(١) المحكم ٦/٤٠٦. وينظر: جمهرة اللغة ٢/٧٩١ ولسان العرب ٥/١١٥.

(٢) تاج العروس ١٣/٤٦٧-٤٦٨.

(٣) ينظر: الموسوعة الحديثية ٣٩/١٠

الخُفّ والظِّلف يستمد الجِرَّة من كَرِشه. وتكرّش القوم إذا تجمّعوا، وكرّش فلان وجهَه، إذا قبّضه. **وكُرْشان بن الآمِريّ بن مَهْرَة بن حَيْدان بن الحافِ بن قُضاعة:** أبو قبيلة من العرب، ونزل بنا أكراش من النَّاس، أَي جماعات" [1]، وقال ابن سيده: "**وكرشان بطن من مهرَة بن حيدان**. وكرشم: اسْم رجل، ميمه زائدة في أحد القولين ليعقوب" [2]، وقال ابن منظور: "وكُرْشان: **بطنٌ من مَهْرةَ بن حيدان**. والكِرْشانُ: الأزد وعبد القيس"[3]، وقال الزبيديّ: "كُرْشَانُ، بالضَّم: وهو أبو قبيلة من العرب. **قلتُ: هو كُرْشانُ بن الآمِرِيِّ بن مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة**"[4].

* **تُغمى وداهر:**

ومن بطونها أيضًا (تُغمى)، ويبدو أنّ هذه البطن عائدٌ إلى أمٍّ تسمى بها أبناؤها فيما بعد، جاء في القاموس المحيط: "**تُغْمَى، كبُهْمَى: قبيلةٌ من مهرة بن حيدان**"[5]، وجاء في تاج العروس: "تُغْمَى، كَبُهْمَى، أهمله الجوهريّ وصاحب اللّسان **وهي قَبِيلَةٌ من مهْرَة بن حيدان، نُسبوا إلى أُمِّهم**" [6].

(١) جمهرة اللغة ٧٣٣/٢.

(٢) المحكم ٦٨٠/٦.

(٣) لسان العرب ٣٤١/٦.

(٤) تاج العروس ٣٥٥/١٧.

(٥) القاموس المحيط، ص(١٠٨٢).

(٦) تاج العروس ٣٢٩/٣١.

ومن البطون كذلك (داهر)؛ قال الزبيدي: "**والدَّاهِرُ: بَطْنٌ من مَهْرَةَ من قُضَاعَةَ** قاله الهَمْدَانِيّ" [1].

هذا وقد مضت الإشارة إلى بطون أخرى من مهرة نُسبت إليها الإبل المهرية كعيد، وقرط، وبيحان، وغُرير، وورد الحديث عنها مفصّلاً في أسماء هذه الإبل.

وربّما ذكرت المصادر بطنًا لا ينتمي إلى مهرة انتماءً مباشرًا، بل لعلاقة أخوة أو ما شابه على نحو ما ذَكَرَتْ في بطن (الرّكب)؛ قال نشوان: "**الركب: اسم قبيلةٍ من قضاعة في اليمن**، يقال في المثل: اجلب بالركب وبني مجيد، والركب بن أنعم بن الأشعر، وهو نبت بن أدد بن زيد بن عمرو، وهو يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، أبو قبيلة ضخمة باليمن، **أخوهما مهرة وهم بنو عمرو بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة**. قاله الأشعري"[2].

رابعًا: من شخصيات مهرة:

ما من شكّ في أنّ الحديث عن شخصيات مهرية في المظان اللغوية والأدبية غالبًا ما يرتبط بالحديث عن جدهم مهرة، وأنّه أبو حيّ من اليمن، وأنّه مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وقد تورد المصادر بعض الأعلام في ذلك السياق على نحو ما هو وارد عند ابن عبدربه

---

(١) تاج العروس ٣٥٢/١١.

(٢) شمس العلوم ٢٦٠٥/٤.

الأندلسي الذي قال: "ومن قضاعة: مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف، وهو الذي تُنسب إليه الإبل المهرية. **ومنهم: كرز بن روعان،** من بني المنسم الذي سار إلى معد يكرب بن جبلة الكندي، وهو الذي يقول:

تقـــولُ بنيّـــتيَّ لما رَأتْـــني ... أَكرُّ عليهمْ وأذبُّ وحدي

لَعَمرُكَ إنْ ولّيتَ اليومَ عنهم ... لتنقلبنَّ مصـــروعًا بخـــدِّ

ومنهم ذهبن بن قرضم بن العجيل، وهو الذي كان وفد إلى النبي صلّى الله عليه وسلم وكتب له كتابا وردّه إلى قومه" [١].

ومن هذه الشخصيات مَن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد– من بعدُ – الفتوحات الإسلامية، أو كان من التابعين وشارك في نشر العلم ، جاء في تاج العروس: "**وبِرْحٌ**، كهِنْدٌ، **ابن عُسْكُرٍ** [٢] كبُرْقُعٍ **صَحابيّ من بني مهرة،** له وفادة، وشهدَ فتحَ مصر، ذكره ابنُ يُونس" [٣]. وجاء فيه أيضًا: "**وعبد الرَّحمن بن شَمَاسَةَ** بن ذِئْبِ بن أَحْوَرَ: **تابعِيٌّ من بني مهْرَة،** روى عن زيد بن ثابت وعُقبة" [٤].

ومنها ما برع في الأدب والشعر والسياسة على نحو ما نرى في شخصية الشاعر الأندلسي والوزير المحنّك ابن عمّار المهري (ت ٤٨٨ هـ) الذي لُقّب بذي الوزارتين، وهو شاعر وسياسي أندلسي، كان وزيرًا وسفيرًا للمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، وقد دفعه طموحه إلى الوثوب على ملك

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٢٥.

(٢) وفي بعض المصادر: عسكل.

(٣) تاج العروس ٦/٣١١.

(٤) تاج العروس ١١/١١٠.

مرسية إحدى حواضر الأندلس. قال المَقَرِّيّ (ت ١٠٤١ هـ) في معرض حديثه عن الأدباء: "**ومِن قضاعة من ينتسب إلى مهرة كالوزير أبي بكر بن عمار** الذي وثب على ملك مرسية، وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة"(١).

وقد تأتي المصادر أيضًا على ذكر الشخصيات النسائية من مهرة ، قال الفيروزآبادي: "**وعَنْدَة: امرأةٌ من مهرة، أمُّ** عَلْقَمَة بن سَلَمَةَ" (٢)، وفصّل الزبيدي فقال: "عَنْدَةُ: **بفتح فسكون: اسم امرأة من بني مهْرَة بن حيدان،** وهي أمّ عَلْقَمَة بن سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية الأكرمين، وهو ابن عَنْدَة، ولقبه الزُّوَيْر"(٣).

وقد تأتي أيضًا على ذكر اللصوص كما صنع صاحب القاموس الذي ذكر (جَلَوبَق)؛ قال: "**جَلَوْبَقُ، كَسفَرْجَلٍ: لصّ من بني مهْرَة**" (٤) ، وقال صاحب التاج: "جَلَوبَقٌ، كسفرجل أهمله الجوهري، وقال ابن دريد: هو اسمٌ، وقال غيره: **هو لصّ من بني مهرَة، وفي العباب: من بني سعد،** ومثله في اللّسان: كان خبيثاً مُنكراً، وفيه يقول الفرزدق:

وَكنت أرَى أن الجَلَوْبقَ قد ثَوَى　　　فجَنفقَ لِي بَين ركني مخفقِ"(٥).

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٩٧/١.

(٢) القاموس المحيط، ص(٣٠٢).

(٣) تاج العروس ٤٣٠/٨.

(٤) القاموس المحيط، ص (٨٧١).

(٥) تاج العروس ١٢٨/٢٥. وثوى في البيت: ماتَ أو هلكَ، وجنفق: ظهرَ.

المبحث الثالث

من أخبار مهرة في مصادر اللغة والأدب

تتناثر في مصادر اللغة والأدب عددٌ من الأخبار التي تُروى عن مهرة، وتتوزع موضوعات هذه الأخبار بين مساكن مهرة، وأسواقها التجارية القديمة، ومعرفتها بأنساب العرب، وإقبالها على العادات الحسنة من بذل وعطاء، وكراهتها العادات السيئة كالغدر، ووفادتها عن رؤوس الدول، وغيرها. والحقُّ أنّ هذه الأخبار تُظهر مهرة أمةً عريقةً منذ سالف الزمن، لها عاداتها وتراثها، ولها مواقفها التي تعبّر فيها عن كرم منبتها، ولها كذلك من النوادر والطرائف التي تُدخل على القلب البهجة والسرور.

الخبر الأول: سوق مهرة في الشحر:

اشتُهر العرب في الجاهلية بأسواقهم التي لم تكن تجارية فقط، بل كانت تجارية وأدبية ودينية، توزعت على امتداد جزيرتهم من أقصى الشمال إلى الجنوب، وبلغ تعدادها ثلاثة عشر سوقًا، ومن أوائل من تحدّث عنها، وفصّل في مواقعها وبضاعتها وطرق الشراء فيها أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) صاحب كتاب المحبَّر[(١)].

وجاء في الباب الأربعين من كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي عند حديثه عن أسواق العرب في الجاهلية ما يلي: "قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي في إسنادٍ ذكره أنّ أسواق العرب الكبيرة كانت في الجاهلية

---

(١) ينظر: المُحبَّر ص (٢٦٣).

ثلاث عشرة سوقًا: فأوّلها قياما: سوق دومة الجندل: وهي على ثلاث عشرة مرحلة[1] من المدينة، وعلى عشر مراحل من الكوفة، وعلى عشر مراحل من دمشق، حصنها ممرّد وبها التقى الحكمان، ثم صُحار، ثم دبا، ثم الشّحر، ثم رابية حضرموت، ثم ذو المجاز، ثم نطاة خيبر، ثم المشقر، ثم حجر باليمامة، ثم منى، ثم عكاظ، ثم عدن، ثم صنعاء.وكانت هذه الأسواق منها ما يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها، لكنّه لا يصل أحد إليها إلا بخفير ولا يرجع إلا بخفير..."[2]، ويستمر في حديثه إلى أن يصل إلى سوق شحر مهرة فيقول: "الشّحر: ثم يسيرون بجميع من فيها من تجّار البحر والبر إلى الشّحر، **شحر مهرة، فيقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النّبي عليه السّلام**، ويبيعونهم بما ينفق بها من الأدم، والبز، وسائر المرافق، ويشترون بها الكندر والمر والصّبر والدّخن، ولم يكن بها عشور، لأنّها ليست بأرض مملكة" [3].

إنّ هذا النصّ الذي أورده المرزوقي يرسم صورةً لسوق مهرة في الشحر تتجلى ملامحه في أمورٍ منها:

- موقع السوق: تحت ظلّ الجبل الذي عليه قبر نبيّ الله هود، وهذا يعني أنّ حدود مهرة كانت قد وصلت في يومٍ من الأيام إلى ذلك المكان.

---

(١) يبدو أنّ المرحلة مقياسٌ للمسافة بين البقاع والمدن.

(٢) الأزمنة والأمكنة، ص (٣٨٢). والخفير: من يوفّر الحماية.

(٣) السابق، ص (٣٨٤).

- بضاعة السوق: الكندر، وربّما كان السلعة الأساسية، وقد مضى أنه اللُّبان، وهناك أيضًا المرّ أو ما يتعارف عليه اليوم بالصُّبر، والأُدم أي الجلود، وربّما قُصد بها جمع الإيدام وهو من الطعام، والبزّ وهي الملابس.
- تسهيلات السوق: لم يكن بها عشور، أي: ضرائب أو ما يُتعارف عليه اليوم بالجمارك، لأنّها لم تكن بأرض مملكة.

ويرى الدكتور يوسف خليف أنّ وجود هذه الأسواق قديمًا أمر طبيعي تحتّمه المنفعة والتبادل، بخاصة عندما تقام قريبًا من مواضع الماء والسكان الذين يبيعون ويشترون، قال: "ومن الطبيعي أن تقوم على طول هذه الطرق التجارية، حيث يوجد الماء مجموعة من الأسواق تنزل فيها القوافل التجارية، ويقبل إليها سكان هذه المناطق والمناطق التي تجاورها بسلعهم، ويقوم بين الفريقين تبادل تجاري، ترحل بعده القوافل ببعض ما تنتجه هذه المناطق، ويعود سكان هذه المناطق ببعض ما كانت تحمله هذه القوافل مما يحتاجون إليه ولا تنتجه بلادهم. وقد ذكر اليعقوبي من هذه الأسواق عشرا، بدأ بها من أقصى الشمال حيث تقام سوق دومة الجندل ثم تتبعها على طول الخليج العربي حيث تقام سوق المشقر بهجر، وسوق صحار، وسوق دَبا، ثم على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية حيث **تقام سوق الشحر بشحر مهرة**، وسوق عدن، وسوق الرابية بحضرموت، وسوق صنعاء، ثم مضى على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر حتى انتهى إلى سوق عكاظ وسوق ذي المجاز بالقرب من مكة، وقد ذكر ابن حبيب هذه الأسواق أيضا"[1].

---

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص (١٢٨).

ويُلمح الدكتور خليف إلى أمر مهم تحتاجه القوافل في طرقها وهو الخفارة، إذْ تضطر إلى طلب الحماية من سكان تلك المناطق التي تمر بها، ومن هؤلاء السكان مهرة، قال: "ويحدثنا الرواة أن كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز في طريقه إلى سوق دومة الجندل كان يتخفر بقريش ما دام في بلاد مضر؛ لأن مضر لم تكن تعرض لتجار مضر، ولا يهيجهم حليف لمضري، فإذا أخذ طريق العراق تخفر ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز ذلك له ربيعة كلها، **أما إذا مضى إلى مهرة، وهي ليست بأرض مملكة، فإنه كان يتخفر فيها ببني محارب من مهرة**، فإذا مضى إلى حضرموت حيث تقام سوق الرابية التيلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة؛ لأنها لم تكن أرض مملكة، وكان من عزّ فيها بزّ صاحبه فإن قريشًا كانت تتخفر ببني آكل المرار، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة، ومن هنا كان أصحاب القوافل يلجئون في أكثر الأحيان إلى رؤساء القبائل" [1].

إنّ هذه الخفارة التي ذكرها الدكتور خليف كانت حاجةً ماسةً في مجتمع جاهليّ تنتشر فيه عادات قطع الطريق، والتعرّض للقوافل والتجارة، فكان من الضروريّ أن توجد في كلّ بلاد فرقةٌ تحمي طريق تجارتها وتوفر الأمان لها، ومن هذه الفرق بنو محارب من مهرة التي وُكّلت بالشّحر.

الخبر الثاني: مهرةُ قومٌ لا يحبون الغدر:

لا يختلف اثنان في أنّ الغدر صفةٌ مذمومةٌ عند جميع البشر، لا يتحلى بها إلاّ صاحب نفسٍ دنيئة وضيعة، لذا فرّ العرب منها منذ قديم الزمان، ونبذوها

---

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص (١٤١).

هي ومَن يتحلى بها، وعلى النقيض من ذلك مجّد العرب الوفاء، وضربوا أروع الأمثلة فيه وفي أصحابه على نحو ما نقرأ في قولهم: أوفى من السموأل. جاء في كتاب غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة لأبي إسحاق الوطواط (ت ٧١٨ هـ): "قالوا: الغدر من صغر القدر، ويقال: من تعدى على جاره دل على لؤم نِجاره[١]، وقال علي رضي الله عنه: الوفاء بأهل الغدر غدر، والغدر بأهل الغدر وفاء. وذُكِر أن عيسى عليه السلام مرّ بإنسان يطارد حية وهي تقول له: والله لئن لم تذهب عني لأنفخنّ عليك نفخةً أقطعك بها قطعاً، فمضى عيسى وعاد فوجد الحية في جونةِ[٢] الرجل محبوسة! فقال لها: ويحك أين ما كنت تقولين؟ قالت:**يا روح الله إنه حلف لي وغدر، وإنّ سم غدره أقتل له من سمي.** وأعرق الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب؛ فإن عبد الرحمن غدر بالحجّاج لما ولاّه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله، وكانت بينهم ثمانون وقعة، وكان آخرها دائرة السوء عليه. وغدر محمد بن الأشعث بأهل طبرستان وكان عبيد الله ولاّه إياها، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ثم عاد إليهم غادراً، فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر. وغدر الأشعث بن قيس ببني الحارث بن كعب؛ غزاهم فأسروه، ففدى نفسه بمائتي بعير، فأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة، فلم يؤدها لهم حتى جاء الإسلام، فهدم ما كان في الجاهلية. وكان بين قيس بن معد يكرب وبين مراد عهد إلى أجل،

---

(١) النِجار: الأصل والحسب.

(٢) الجونة: وعاءٌ للحفظ من جلدٍ ونحوه.

فغزاهم في آخر يوم من الأجل، وكان يوم الجمعة، فقالوا له: إنه لا يحل لنا أن نقاتل يوم السبت فأخرهم، فلما كان صبيحة السبت قاتلهم فقتلوه وهزموا جيشه. **وغدر معد يكرب بمهرة، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل فغزاهم ناقضاً لعهدهم، فقتلوه وفتقوا بطنه وملؤه بالحصا"** [1].

إنّ الناظر في هذا الخبر ربّما وجد العقوبة شنيعةً فيها الكثير من التعدي والقسوة، بيد أنّها على ما يبدو كانت ردًّا أو رسالةً لمعد يكرب ولغيره ممّن يسلك هذا المسلك أو يتحلى بهذه النقيصة.

الخبر الثالث: خبر مرضاوي بن سعوة المهري مع زبراء الكاهنة وبني رئام:

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي: "كان ثلاثة أبطن من قضاعة مجتورين بين الشحر وحضرموت: بنو ناعب، وبنو داهنٍ، وبنو رئام، وكانت بنو رئام أقلهم عددًا وأشجعهم لقاءً، وكانت لبني رئام عجوز تسمى خويلة، وكانت لها أَمَة من مولدات العرب تسمى زبراء، وكان يدخل عَلَى خويلة أربعون رجلا كلهم لها محرم، بنو إخوة وبنو أخوات، وكانت خويلة عقيما، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين [2] على بنى رئام، فاجتمع بنو رئام ذات يومٍ في عرس لهم وهم سبعون رجلاً كلهم شجاع بئيس، فطعموا وأقبلوا على شرابهم، وكانت زبراء كاهنة، فقالتْ لخويلة: انطلقي بنا إلى قومك أنذرهم، فأقبلت خويلة تتوكأ عَلَى زبراء، فلما أبصرها القوم قاموا

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص (٧٨-٧٩). والقصة ذاتها في نهاية الأرب ٣/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) متظاهرين: معادين.

إجلالاً لها، فقالتْ: يا ثمر الأكباد، وأنداد الأولاد، وشجا الحساد، هذه زبراء، تخبركم عَن أنباء، قبل انحسار الظلماء، بالمؤيد الشنعاء، فاسمعوا ما تقول. قالوا: وما تقولين يا زبراء؟ قالت: واللوحِ الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادى ليأدو ختلاً، ويحرق أنياباً عصلاً، وإن صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون عنه معلا، فوافقتْ قومًا أشارى سكارى، فقالوا: ريحٌ خجوج، بعيدة ما بين الفروج، أتت زبراء بالأبلق النتوج، فقالت زبراء: مهلاً يا بنى الأعزة، والله إنى لأشم ذفر الرجال تحت الحديد، فقَالَ لها فتى منهم يُقَال له هذيل بن منقذ: يا خذاق، والله ما تشمين إلا ذفر إبطيك، فانصرفت عنهم وارتاب قومٌ من ذوي أسنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلا، وثلاثون فرقدوا فِي مشربهم، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين، وأقبلت خويلة مع الصباح فوقفت مصارعهم، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها، وانتظمت منها قلادةً وألقتها في عنقها، **وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعوة المهرى، وهو ابن اختها**، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول:

يا خيرَ معتمدٍ وأمنعَ ملجاٍ ... وأعزَّ منتقمٍ وأدركَ طالبِ
جاءتكَ وافدةُ الثكالى تغتلي ... بسوادِها فوقَ الفضاءِ الناضبِ
عيرانةٌ سرحَ اليدين شملةٌ ... عبرَ الهواجرِ كالهزفِ الخاضبِ
هذي خناصرُ أسرتى مسرودةً ... في الجيدِ مني مثلَ سمطِ الكاعبِ

عشرون مقتبلاً وشطرُ عديدهم ... صيابة ملقومٍ غير أشايبِ
طرقتْهم أمُّ اللهيم فأصبحوا ... تستنُّ فوقهم ذيولٌ حواصبِ
جزراً لعافيةِ الخوامعِ بعدما ... كانوا العياثَ من الزمانِ اللاحبِ
قسمتْ رجالُ بني أبيهم بينهم ... جرعَ الردى بمخارصٍ وقواضبِ
فأبردْ غليلَ خويلةَ الثكلى التي ... رُميتْ بأثقلَ من صخورِ الصاقبِ
وتلافَ قبلَ الفوتِ ثأري إنَّه ... علقٌ بثوبي داهنٍ أو ناعبِ

فقَال: حجر على مرضاوي الأعذبان والأحمران، أو يقتل بعدد رئامٍ من داهنٍ وناعب، ثم قَالَ:

أخالتَنا سرُّ النساءِ محرمٌ ... عليّ وتشهادُ الندامى على الخمرِ
كذاك وأفلاذُ الفئيدِ وما ارتمت ... به بين جاليها الوئيةِ ملوذر
إنْ لم أصبحْ داهنًا ولفيفَها ... وناعبَها جهرًا براغيةِ البكرِ
فوارِ بنانَ القوم في غامضِ الثرى ... وصوري إليكِ من قناعٍ ومن سترِ
فإني زعيمٌ أن أروي هامهم ... وأظمئ هاماً ما انسرى الليلُ بالفجرِ

ثم خرج في منسر من قومه، فطرق ناعبا وداهنا فأوجع فيهم" [(١)].

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي ١٢٦/١ – ١٢٨ . وشرح القالي بعض مفرادا الخبر بقوله: "المؤيد: الداهية والأمر العظيم. والنفنف واللوح : الهواء بين السماء والأرض، واللوح بفتح اللام: العطش. وحرق أنيابه إذا حك بعضها ببعض، والعرب تقول عند الغضب يغضبه الرجل عَلَى صاحبه هو يحرق عَلَى الأرم، أى الأسنان، والعصل: المعوجة، واحدها أعصل.والمعل: المنجا. والخجوج: السريعة المر. والأبلق لا يكون نتوجا، والعرب تضرب هذا مثلا للشيء لا ينال . والأنوق: الذكر من الرخم ولا بيض له، هذا قول بعض اللغويين، وعامتهم يقولون: الأنوق: الرخمة وهى تبيض فِي مكان لم لا يوصل فيه إِلَى بيضها إلا بعد عناء، فيراد بهذا المثل أنه طلب ما لا يقدر عليه، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله، والعقوق: الحامل، يُقَال: أعقت الفرس فهى عقوق، والذفر يكون فِي النتن والطيب، وهو حدة الريح، والدفر بفتح الفاء لا يكون إلا فِي النتن، ومنه قيل للدنيا: أم دفر، وخذاق: كناية عما يخرج من الإنسان، يُقَال: خذق ومزق".

الخبر الرابع: ذكر وفود مهرة على الرسول عليه السلام:

جاء في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: "**قدم وفد مهرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، عليهم مهريّ بن الأبيض**، فعرض عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام فأسلموا، وكتب لهم: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لمهريّ بن الأبيض على من آمن به من مهرة ألاّ يُؤكلوا[1]، ولا يُعركوا[2]، وعليهم إقامة شعائر الإسلام، فمن بدّل فقد حارب، ومن آمن به فله ذمّة الله وذمّة رسوله، **اللُّقطة**[3] مؤدّاة، والسّارحة[4] مندّاة، والتّفث[5] السّيّئة، والرّفث الفسوق) .وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري: **ووفد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجل من مهرة، يقال له زهير بن قرضم بن العجيل من الشّحر**، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدنيه لبعد مسافته، فلما أراد الانصراف ثبّته، وحمّله، وكتب له كتابا"[6].

لقد رسم رسول الله صلى الله عليه وسلّم في هذا الكتاب ملامح حياةٍ جديدة لمهرة تقوم على مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحة، وتحثهم على

---

(١) يؤكلوا: تُؤكل أموالهم باطلاً.

(٢) يُعركوا: يُحاربوا.

(٣) اللُّقطة: الشيء الذي تجده ملقى على الأرض.

(٤) السارحة: الماشية.

(٥) التفث: ترك الإدهان والحلق حتى يعلو الغبار والوسخ الإنسان. والرفت التي بعدها: التصريح بقبيح الكلام.

(٦) نهاية الأرب ١٨/١١٧-١١٨.

الالتزام بقواعد الإسلام تأديةً للحقوق وانضباطًا في الواجبات وصولاً إلى الفوز في الدارين. تجدر الإشارة هنا إلى الخبر له ذكر في كتب الطبقات كطبقات ابن سعد، كما ورد في معظم كتب التاريخ ومنها: الكامل لابن الأثير، وتاريخ الطبري.

الخبر الخامس: ملاقاة يزيد بن شيبان في حجه رجلا من مهرة وانتساب كل منهما لصاحبه:

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ): "خرج يزيد بن شيبان بن علقمة حاجّاً، فرأى حين شارف البلد شيخاً يحفّه ركبٌ على إبل عتاق برحال ميس ملبسة أدما[١]، قال: فعدلتُ فسلّمتُ عليهم وبدأت به وقلت: من الرجل؟ ومن القوم؟ فأرمّ القوم[٢] ينظرون إلى الشيخ هيبةً له، فقالَ الشيخ: **رجل من مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة**، فقلت: حيّاكم الله! وانصرفت، فقال الشيخ: قفْ أيُّها الرجل، نسبتنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا؟! قال أبو بكر: وروى السكن بن سعيد عن محمد بن عباد: شاممتنا مشامّة الذّئب الغنم ثم انصرفتْ! قلتُ: ما أنكرتُ سوءاً، ولكني ظننتكم من عشيرتي فأناسبكم فانتسبتم نسباً لا أعرفه ولا أراه يعرفني، قال: فأمال الشيخ لثامه وحسر عمامته، وقال: لعمري لئن كنتَ من جِذْمٍ[٣] من أجذام العرب لأعرفنَّك؟ فقلتُ: فإني من أكرم أجذامها، قال:

---

(١) الميس: ضربٌ من الشجر يعمل منه الرّحال. والأدم: الجلد المدبوغ.

(٢) أرمّ القوم: سكتوا.

(٣) الجِذْم: الأصل، وجذم الرجل: أهله وعشيرته. والجذم أيضًا: المنبت.

فإن العرب بُنيت على أربعة أركان: مضر وربيعة واليمن وقضاعة فمن أيّهم أنت؟ قلتُ: من مضر، قال: أمن الأرحاء أم من الفرسان؟ فعلمتُ أن الأرحاء خِندف وإن الفرسان قيس، قلتُ: من الأرحاء[١]، قال: فأنت إذاً من خندف؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الأرنبة أم من الجمجمة؟ فعلمتُ أن الأرنبة مدركة وأن الجمجمة طابخة، فقلتُ: من الجمجمة، قال: فأنت إذاً من طابخة؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الصّميم[٢] أم الوشيظ؟[٣] فعلمتُ أن الصّميم تميم وأن الوشيظ الرّباب، قلتُ: من الصّميم، قَالَ: فأنت إذاً من تميم؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الأكرمين أم من الأحلمين أم من الأقلّين؟ فعلمتُ أنّ الأكرمين زيد مناة، وأن الأحلمين عمرو بن تميم، وأن الأقلين الحارث بن تميم، قلتُ: من الأكرمين، قال: فأنتَ إذًا من زيد مناة؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الجدود أم من البحور أم من الثماد[٤]؟ فعلمتُ أن الجدود مالك، وأن البحور سعد، وأن الثماد امرؤ القيس بن زيد مناة، قلتُ: من الجدود، قال: فأنتَ إذاً من بني مالك؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الذّرى أم من الأرداف[٥]؟ فعلمتُ أن الذّرى حنظلة، وأن الأرداف ربيعة ومعاوية، قلتُ: من الذرى، قال: فأنتَ إذاً من بني حنظلة؟ قلتُ: أجل، قال: أمن البدور أم من الفرسان أم من الجراثيم؟ فعلمتُ أن البدور مالك، وأن الفرسان يربوع، وأن الجراثيم

---

(١) الأرحاء: سادة القوم.

(٢) الصميم: الأصل الخالص من كل شيء.

(٣) الوشيظ: الخسيس من الرجال.

(٤) الثّماد: الماء القليل الذي ليس له مدد، أو المكان الذي يجتمع فيه الماء.

(٥) الذُرى: القمم، والأرداف: المؤخرات.

البراجم، قلتُ: من البدور، قال: فأنتَ إذاً من بني مالك بن حنظلة؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن الأرنبة أم من الّلحيين أم من القفا؟ فعلمتُ أن الأرنبة دارمٌ، وأن اللحيين طهيّة والعدويّة، وأن القفا ربيعة بن حنظلة، قلتُ: من الأرنبة، قال: فأنتَ إذاً من دارم؟ قلتُ: أجل قال: أفمن الّلباب أم من الهضاب أم من الشّهاب؟ فعلمتُ أنّ اللباب عبد الله، وأن الهضاب مجاشع، وأن الشّهاب نهشل، قلتُ: من الّلباب، قال: فأنت إذاً من بني عبد الله؟ قلتُ: أجل، قال: أفمن البيت أم من الزّوافر[1]؟ فعلمتُ أن البيت بنو زرارة، وأن الزوافر الأحلاف، قلتُ: من البيت، قال: فأنتَ إذاً من بني زرارة؟ قلتُ: أجل، قال: فإنّ زرارة ولد عشرةً: حاجباً، ولقيطاً، وعلقمة، ومعبداً، وخزيمة، ولبيداً، وأبا الحارث، وعمراً، وعبد مناة، ومالكا، فمن أيّهم أنت؟ قلتُ: من بني علقمة، قال: فإنّ علقمة ولد شيبان ولم يلد غيره، فتزوّج شيبانُ ثلاث نسوة: مُهدد بنت حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد، فولدتْ له يزيد، وتزوّج عكرشة بنت حاجب بن زرارة بن عُدس، فولدت له المأمور، وتزوّج عمرة بنت بشر بن عمرو بن عُدس، فولدت له المقعد، فلأيتهنّ أنت؟ قلتُ: لمهدد، قال: **يا ابن أخي، ما افترقت فرقتان بعد مدركة إلاّ كنتَ في أفضلها حتى زاحمك أخواك، فإنهما أن تلدني أماهما أحبّ إليّ من أن تلدني أمك! يا ابن أخي، أتراني عرفتك؟ قلتُ: إي وأبيك أي معرفة!**" [2].

---

(١) زفر الشخص: أخرج نَفَسَه من رئتيه، فكأنّه قصد بالزوافر الخوارج.

(٢) أمالي القالي ٢/٢٩٧-٢٩٨. والقصة ذاتها في التذكرة الحمدونية ٣/٤٢٧.

إنّ هذا الخبر الطويل يُظهر الشيخ المهريّ بصيرًا بأنساب العرب عارفًا بأصولها ومنابتها وأعراقها، وهو خبرٌ يقدّم لنا الشيخ أشبه ما يكون بموسوعة أنسابٍ لا تفوتها شاردة ولا واردة، يُضاف إلى ذلك ما تحلى به من بلاغةٍ وفصاحةٍ وبيانٍ وقدرة فائقة على استعمال صورةٍ بلاغية مهمة هي التورية؛ إذْ لم يذكر بطون تميم بأسمائها بل كنّى عنها بكُنى مختلفة وفي أكثر من موضع، بل من بداية الخبر إلى نهايته.

وربّما كان من المفيد هنا أنْ نذكر أنّ كبار السنّ من مهرة مازالوا يمتلكون صفة الفراسة هذه إلى يومنا هذا، فإذا نظر أحدهم إلى شخصٍ ما غريبٍ عليه تفرّس في ملامحه، ونسبه إلى بطنٍ من مهرة، وربّما عرفَ أنّه ليس منهم.

وقد ورد هذا الخبر أيضًا مقتضبًا في العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ومُفتتحًا بقوله: "ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عُدس قال: خرجتُ حاجا، حتى إذا كنت بالمحصب من منى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب، مع كل رجل منهم محجن[1]، ينحّون الناس عنه ويوسّعون له؛ فلما رأيته دنوتُ منه؛ فقلت: ممّن الرجل؟ قال: **رجل من مهرة، ممن يسكن الشّحر...**" [2]. وورد أيضًا في كتاب الإبانة في اللغة العربية للعوتبي الصحاري مُفتتحًا بقوله: "وقال عبد الله بن معاذ يرفعه إلى

---

(١) المحجن: كلّ شيء معوجّ الرأس، والمعنى: مع كلّ واحدٍ منهم أداةً أو عصا أو ما شابه يستعين بها على إفساح الطريق للشيخ وإبعاد الناس عنه.

(٢) العقد الفريد ٣/٢٨٢.

هُنيد التيمي قال: إني لواقف بسوق عكاظ، **إذا رجل من مهرة، منزله بصُحار عُمان**، يسمى الصحاري، وإذا الناس يركبونه ويسألونه عن أنسابهم، وهو يفسر لهم، وكان من أعلم الناس، فمرَّ به عطارد بن حاجب الزراري فقال: **شاسع**[١] **من مهرة ومنزله صحار ما أستفيد منه علماً**، فأبصره الصحاري، فأعجبه شارته، فقال: ممن أيها الرجل؟ قال: لا تعرفني ، قال: إن كنت من العرب أو من أشرافهم عرفتك، قال: فإني من العرب..." [٢].

الخبر السادس: أنتم خيرٌ لشيوخكم من مهرة !

تُورد المصادر هذا الخبر بأكثر من رواية وتنسب قائل هذه المقولة (أنتم خيرٌ لشيوخكم من مهرة) لأكثر من واحد؛ فقد نقل ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) عن موسى بن طلحة قوله: "جاءنا عليّ بن أبي طالب رحمه الله ونحن في المسجد شبابٌ من شباب قريش، فنحّينا له عن الأسطوانة وقلنا: هاهنا يا عمّ؛ فقال: يا بني أخي، **أنتم لشيوخكم خيرٌ من مهرة**، فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدّوه عقالا[٣] ثم يقال له: ثِبْ فيه، فإن وثب خلّوا سبيله وقالوا: فيه بقيّة من عُلالة[٤]، وإن لم يثب قدّموه فضربوا علاوته[٥]، وقالوا: لا يصيبك عندنا بلاء" [٦]. وجاء في كتاب التعازي والمراثي للمبرّد (ت ٢٨٥ هـ) :

---

(١) ربّما قصد بالشاسع: البعيد عن الوطن والبلاد.

(٢) الإبانة في اللغة العربية ٣٢/١.

(٣) العُقال: الحبل الذي يُربط به.

(٤) العُلالة: بقية كل شيء.

(٥) علاوته: علاوة الرأس أعلاه.

(٦) عيون الأخبار ٦٩/٢- ٧٠.

"وأنبأنا أبو عبد الرحمن قال: أنبأنا أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير اللخمي قال: جاء أبو جهم بن حذيفة العدوي، وهو يومئذ ابن مئة سنة إلى مجلسٍ لقريش، فأوسعوا له عن صدر المجلس، وقائل يقول: بل كان عروة بن الزبير مكان أبي جهم فقال: يا بني أخي، **أنتم خير لكبيركم من مهرة لكبيرهم**، قالوا: وما شأن مهرة وكبيرهم؟ قال: كان الرجل منهم إذا كبر وضعف أتاه ابنه أو وليه فعقله بعقال ثم قال: قُمْ، فإن استتم قائماً وإلاّ حمله إلى محبس لهم يجرى على أحدهم فيه رزقه حتى يموت، قال: فجاء شاب منهم إلى أبيه ففعل ذلك، فلم يستتم قائماً، فحمله فقال: أي بني إلى أين؟ قال: إلى سنة آبائك، فقال: أي بني لا تفعل، فوالله لقد كنت أوعدك فلا أحقك[1]، وأماشيك فما أبذك[2]، وأسقيك الدأدأة[3] قال: وكانت العرب تقول: إذا سقي الغلام اللبن وهو قائم كان أسرع لشبابه فقال الفتى: **لا جرم، والله، لا يُذهب بك، فاتخذها مهرة سنة**" [4]. وجاء في غريب الحديث للخطّابي (ت٣٨٨ هـ): "وأخبرني بعض أصحابنا عن المُطَيَّن بإسناد له أنَّ عَقيل بن أبي طالب خرج ذات يوم إلى المسجد وفيه شبابٌ من شباب قريش، فتنحَّوا له عن الأسطوانة فقالوا: اجلس إليها يا عمُّ، فقال: **يا بَنَي أخي أنتم خيرٌ لشيوخكم من مهرة**؛ كان إذا كَبُرَ الشّيخ شدّوهُ عِقَالا ثُم قالوا له ثِبْ، فإنْ

---

(١) ربّما مقصوده: أهدّدك فلا أُنفّذ التهديد.

(٢) أبذّك: أسبقك.

(٣) الدأدأة: السرعة والإحضار، وهي أيضًا صوت تحريك الصبي في المهد.

(٤) التعازي والمراثي، ص (١٤٦).

وثب خَلَّوا سبيله وقالوا: فيه بقيّة من عُلالَةٍ، وإنْ لم يثِبْ تركوه في العِقال حتى يموت"[١].

يُظهر هذا الخبر صورةً سلبية لمجتمع مهرة في زمن من الأزمان، شأنه في ذلك شأن المجتمعات العربية القديمة التي انتشرت فيها صورًا نراها اليوم منبوذة أو غير مستحبة، فالعرب قديمًا كانت تئِدُ البناتَ، وتعاقر الخمر، وتلعب الميسر. وإذا كانت مهرة قد انتشرت فيها عادات حسنة وصورًا مشرقة كالوفاء، وحماية الضعيف، والفراسة، وتقدير شيوخهم، وغيرها، فلا غروَ أن توجد فيها عادات سيئة، بيد أنّ تكون بهذه الغرابة فهذا أمرٌ يدعو إلى الحيرة، ويُحمد لمهرة أنّهم أقلعوا عن هذه العادة فيما بعد بحسب ما ذكرت إحدى الروايات، ولا شكّ أنّ مردّ هذه العادة إنّما هو تفشي الجهل وانتشار الأمية.

الخبر السابع: قبر نبي الله هود في مهرة:

جاء في العقد الفريد عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة: "أتى رجل من مهرة إلى علي بن أبي طالب، قال: ممّن أنتَ؟ قال: من مهرة، قال: ((وَاذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ))[٢].وقال ابن لهيعة: **قبر هود في مهرة**"[٣].

إنّ هذا الخبر صريحٌ في أنّ نفوذ مهرة قد امتدّ في يوم من الأيام حتى وصل إلى موضع قبر نبيّ الله هود عليه السلام، وربّما تعداه أيضًا، وقد مضت الإشارة إلى أنّ سوق مهرة كان يُعقد تحت ظلّ الجبل الذي عليه هذا القبر.

---

(١) غريب الحديث ١/٧٥.

(٢) سورة الأحقاف (٢١).

(٣) العقد الفريد ٣/٢٨٨-٢٨٩.

الخبر الثامن: خُطة مهرة في الفُسطاط بمصر:

الفُسطاط من المدن التي خَطّها المسلمون عند فتحهم لمصر، وقد جاء في صبح الأعشى: "واختُلف في سبب تسميتها بالفسطاط، فقال ابن قتيبة: إن كل مدينةٍ تُسمّى فسطاطًا، ولذلك سُمّيت مصر الفسطاط... وعُرفت كل خُطة بالقبيلة أو الجماعة التي اختطتها أو بصاحبها الذي اختطها. فأما الخطط والآدار التي عرفت بالقبائل والجماعات: فمنها خُطّة أهل الراية: وهم جماعة من قريش، والأنصار، وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس... **ومنها خُطّة مهرة، وهم بنو مهرة بن حيدان** بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير"[1].

مثّل هذا الخبر صورةً مشرقةً لمهرة أبّان مشاركتها في الفتوحات الإسلامية، وانتقالهم إلى مصر، ثمّ استقرارهم بها، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الجماعات والقبائل العربية التي اختطّت كلّ واحدة منها لنفسها بقعة معينة في مدينة الفسطاط، واتخذتها موضعًا لها ومسكنًا. وما من شكّ في أنّ هذا العمل يعدّ مفخرةً لمهرة في ذلك الزمان ومن بعده، فأيُّ عمل أجلّ وأعظم من نشر الإسلام، ورفع راية الدين، وإيصال الرسالة المحمدية إلى أصقاع الأرض؟ لذا يحقّ لهم الاعتزاز به والحديث عنه في كلّ وقتٍ وحين.

---

(١) صبح الأعشى ٣/٣٦٨-٣٦٩.

الخبر التاسع: مهرةُ يجزون الجِمال!

جاء في كتاب البرصان والعرجان للجاحظ: "وأضداد العرجان: الذين كانوا يَعْدون على أرجلهم فيبلغون مبالغ أصحاب الخيول المضمّرة، وما ظنّك بالمنتشر بن وهب والشاعر يقول فيه:

لا يَغْمِزُ السّاقَ مِن أينٍ ولا وصبٍ ولا يَعُـــضُّ على شِرْسُوفِهِ الصّفَرُ[١]

لا يأمـــنُ النّاسَ ممســـاهُ ومصبحهُ مـــن كلِّ أوبٍ وإلاّ يغـــزُ ينتظرُ

وأعجب من المنتشر بن وهب، ومن أوفى بن مطر، **الذي يُحكى عن مهرة بأنّ الرّجل منهم يقيم ثلاثة أجمال بعضها إلى جنب بعض، ثم يقوم دونها بأذرع، ثم يجمع جراميزه[٢]، ثم يثب فيجوزها**" [٣].

يرسم هذا الخبر صورةً طريفةً من صور حياة مهرة في الماضي، وإحدى الهوايات التي كانوا يمارسونها، كما تُعبّر عن همةٍ في الجسم ولياقة في البدن ليست بالهينة، يتمكّن المرء خلالها من أن يجوز ثلاثة جمال، ويبدو أنّ علاقتهم بالإبل ما تنفكّ قويةً متينةً لدرجة أنّهم جعلوها حاضرةً حتى في مثل هكذا هوايات ورياضات، ويذكر كبار السنّ — بحسب إفادة الصديق الدكتور محمد مسلم المهري - أنّ هذه العادة بقيت إلى وقتٍ قريب في بلاد مهرة وظفار.

---

(١) الأين:التعب، والوصب: الوجع والمرض، والشرسوف: القسم الأعلى من البطن، والصّفر: الجوع.

(٢) جراميز الإنسان: أطرافه وبدنه، والمعنى: تقبّض ليقفز.

(٣) البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص(٢٤٥).

الخبر العاشر: أهدى من دعيميص الرمل:

هو مثلٌ تضربه العرب، ودُعيميص هذا عبدٌ أسود كان داهية خِرِّيتًا[1] غلب عليه هذا الاسم، لم يكن يدخل في بلاد وبار[2] غيره، فقام في الموسم وقال:

وَمَنْ يُعْطِنِي تِسْعاً وتسعِينَ بَكْرَةً هِجَاناً وأدما أهْدِهِ لِوَبَارِ

فقام رجل من مَهْرَة وأعطاه ما سأل، وتحمل معه بأهله وولده، فلما توسطوا الرمل طَمَسَتِ الجنُّ عينَ دعيميص فتحيّر، وهلك مع مَنْ معه في تلك الرمال، وفي ذلك يقول الفرزدق:

كَهَلاَكِ مُلْتَمِسٍ طَرِيقَ وَبَارِ[3]

لقد ضربت العرب هذا المثل في الهداية ومعرفة السُبل وعدم الضلال عن الطُرق، فقالت: (أهدى من دُعيميص الرمل)، بيد أنّ دُعيميص هذه المرة لم يهتدِ، فهلك وأهلك معه رجلٌ من مهرة وأهله وولده. ولا تُظهر الروايات السبب الذي حمل المهريّ على خوض هذه المغامرة: أهو حبّ الاستطلاع؟ أم حبّ المغامرة؟ أم بحثٌ عن غنى ومال؟ بخاصةٍ إذا علمنا أنّ وبار هذه قد دارت حولها روايات عدّة باحتوائها على كنوزِ قومٍ أهلكهم الله تعالى.

---

(١) الخرّيت في اللغة: الحاذق الماهر.

(٢) مضى القول فيها عند الحديث عن الإبل الحوشية، فليُراجع ذلك الموضع.

(٣) ينظر: مجمع الأمثال للميداني ٤٠٩/٢، وحياة الحيوان ٤٦٩/١، وخزانة الأدب ٢٧٦/٢.

الخبر الحادي عشر: وافد عاد المشهور بالشؤم وجبال مهرة:

تضرب العرب المثل في الشؤم والنحس في ثلاثة أشخاص: الأول: قدار، وهو عاقر ناقة صالح عليه السلام، حيث هلك بجرمه هذا وأهلك معه قومه، والثاني: طُويس، وقد مضى أنّه وُلد يوم توفي النبي صلّى الله عليه وسلم، وفُطم يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، وبلغ الحُلم يوم قُتل عمر رضي الله عنه، وتزوج يوم قُتل عثمان رضي الله عنه، ووُلد له يوم توفي علي رضي الله عنه، فهو أعجوبةٌ في النحس والشؤم لا مثال له، ومع ذلك كان يقول عن نفسه: أنا أبو عبد النعيم وأنا طاؤوس الجحيم. وأمّا الثالث: فوافد عاد، وهو الذي بعثوه إلى الحرم ليستسقي لهم، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرًا يشرب الخمر، **ثم أتى جبال مهرة** فقال: اللهم إني لم أجيء لفائتٍ فأوديه، ولا لأسير فأُفاد به، ولا لمريض فأداويه، **اللهم اسقِ عادًا ما كنتَ تسقيه، فعرضت لهم سحابة أهلكتهم**[1].

إنّ وافد عاد هذا مثّل بحقٍّ صورة للمشؤوم الذي أهلك نفسه وقومه بسبب دعوة دعاها على نفسه وعلى من معه، وقد مثّلت جبال مهرة موقعًا ومكانًا لهذه الحادثة التي تناقلتها العرب في أخبارها وكتبها جيلاً بعد جيل.

الخبر الثاني عشر: الفرزدق وعنبسة الفيل المهري:

من أشهر شعراء العصر الأموي جريرٌ والفرزدق، وقد اشتهرا بفنّ شعريّ جديد في ذلك العصر هو فنّ النقائض، حيث يهجو كلّ واحدٍ منهما

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/٣٨٨.

صاحبه، والظاهر أنّ العلاقة بينهما قد تطورت من الشعر والهجاء إلى الخصومة، وربّما وصلت إلى العداء.

جاء في كتاب الممتع في صنعة الشعر للقيرواني (ت ٤٠٥ هـ): "وهجا الفرزدق عنبسة الفيل، وذلك أنّه كان يفضل جريرا عليه ويروى قصائده، فقيل للفرزدق: هاهنا رجل يعيب شعرك، ويروي قصائد جرير فيك، ويفضّله عليك، قال: من هو؟ قالوا: **عنبسة بن معدان من مهرة**. قال: أهو من أهل البصرة، ولديه مترل؟ قالوا: نعم، قال: ويحكم! **رجل من مهرة** له مترل بالبصرة لا أعرفه إنَّ هذا لعجب! أروني داره، فأروه داره، فقال: هذه دار معدان الفيل، فمتى كان هذا من مهرة؟! هذا قدم أبوه البصرة أيام عبد الله بن عامر فأثرى، وأنشأ يقول:

لقدْ كانَ في معدانَ والفيلُ زاجرٌ لعنبسةَ الرّاوي عليَّ القصائدَا

فرُوي هذا البيت بالبصرة، فلقى أبو عيينة بن المهلب عنبسة على باب بعض الولاة فقال له: يا عنبسة، ما أراد الفرزدق بقوله: لقد كان في معدان والفيل زاجر؟ فقال: لم يقل والفيل إنما قال: واللؤم، فقال أبو عيينة: والله إن شاء فررت منه إلى اللؤم لأمر عظيم. قالوا: رب رمية من غير رام، ورب لقب قد وضع من شريف وأزرى بكريم"[1].

وعنبسة الفيل هذا من الذين أتقنوا النحو في مراحله المتقدمة، ويُصنّف ضمن أوائل النحاة بعد أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، لذا يعدّه مؤرخو النحو العربيّ من رجال الطبقة الأولى لنحاة البصرة.

---

(١) الممتع في صنعة الشعر، ص (١٩٩).

ختامًا: لقد حفلت مصادر اللغة والأدب بعدد لا بأس به من أخبار مهرة، وتنوعت بين المواضع والمساكن والثروات والبطون والشخصيات، كما تناثرت فيها طائفةٌ ثانية من الأخبار التي تحدثت عن أسواقها، وبعضٍ من صفات أهلها، ووفودها، وحدود أرضها، وربّما غرائبها. وينبغي إعادة التنويه هنا أنّ الحديث عن هذه الأخبار كان مقصورًا على مصادر اللغة والأدب ليس غير، فلم يتناول الكتاب مهرة في كتب الأنساب أو التاريخ أو الطبقات أو غيرها، رغبةً منه في ترك هكذا تفاصيل لأصحابها من المتخصصين، وإلاّ فالحديث عنها في تلكم المظان كثيرٌ وطويلٌ وغزير.

قائمة المصادر والمراجع

- الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، تحقيق: عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرار ومحمد حسن عواد وجاسر أبو صفية، ط (١)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٩٩م.
- الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، ضبط وتخريج: خليل المنصور، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط (١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزةبن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط (١)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١م.
- الأمالي، أبو علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجوادالأصمعي، ط (٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦م.

- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعانيّ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرين، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م.
- الأوائل، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد السيّد الوكيل ط(١)،دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، ١٩٨٧م.
- إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، ط (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
- البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، تحقيق: هشام الطعان، ط (١)، مكتبة النهضة ببغداد ودار الحضارة العربية بيروت، ١٩٧٥م.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط (١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد المرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، ط(١)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ت.
- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، ط (١)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، محمد بن يزيد المبرد، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.
- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، ط(١)، مطبعة الأمانة،القاهرة، ١٩٩١م.
- التقفية في اللغة، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط ، ط(١)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.
- التمام في تفسير أشعار هذيل (مما أغفله أبو سعيد السكري)، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد ناجي القيسي وخديجة الحديثي وأحمد مطلوب، ط (١)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط (١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط (١)، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، ط (١)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٣٧م.
- حلية الفقهاء ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط (١)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.
- الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، ط (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط (٤)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ١٩٩٩م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، تحقيق: محمد التنوخي، ط(١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
- ديوان ذي الرُّمة بشرح أبي نصر الباهلي ، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، ط (١)، مؤسسة الإيمان، جدة، ١٩٨٢م.
- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الجيل، بيروت.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط(١)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- زهر الآداب وثمر الألباب،إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.

- الزهرة، محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: إبراهيم السامرائي ونوري حمود القيسي، ط(٢)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م.
- الساميون ولغاتهم .. تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، حسن ظاظا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٥م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق :أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط (٢)، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٧٥م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن محمد بن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- شرح أبيات سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤م.
- شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح)، خالد بن عبد الله الأزهري، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط(١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٧م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط (٥)، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط(١)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.
- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي، يحيى بن علي التبريزي، دار القلم، بيروت.
- شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، ط (٢)، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، ١٩٩٨م.
- شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، (رسالة ماجستير بإشراف: محمد جمال صقر)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م.

- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، ط (٤)، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، ط(١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: محمد الدالي، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط (٤)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(١)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبّان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط(٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م.
- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، إسماعيل عمايرة، ط(٢)، دار حنين، الأردن، ١٩٩٣م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط (٢) ، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٩٩م.
- علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط (٥)، دار الجيل، ١٩٨١م.
- عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: يوسف علي طويل ومحمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- غرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة، محمد بن إبراهيم الوطواط ،ضبطه وصححه: ابراهيم شمس الدين، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

- غريب الحديث، أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرّج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط(٢)، دار المعرفة، لبنان، د.ت.
- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط (٤)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- في التعريب والمعرب ، عبد الله بن بَرّي ابن أبي الوحش، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ط (١)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩١م.
- في لغة أهل اليمن، عباد بن علي الهيّال، ط (١)، دار النظرية، صنعاء، ٢٠١٣م.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط (٦)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط (٨)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

- قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(٣)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- كتاب الاختيارين (المفضليات والأصمعيات)، علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط(١)، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٩م.
- كتاب الأفعال، سعيد بن محمد المعافري القرطبي (ابن الحداد)، تحقيق: حسين محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.
- كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، تحقيق وشرح: محمود محمد الطناحي، ط (١)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٠م.
- كتاب النوادر، أبو مسحل الأعرابي، تحقيق: عزة حسن، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦١م.
- كتاب سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط (٤)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي، تحقيق: السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة، طرابلس، الجماهيرية الليبية، ١٩٨٦م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- اللغة المهرية المعاصرة بين عربيتين، عامر فائل محمد بلحاف، ط (١)، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ٢٠١٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.
- المجرّد من غريب كلام العرب ولغاتها، كراع النمل أبو الحسن الهنائي، تحقيق: محمد أحمد العمري، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٢م.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- مجمل اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط (٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، ط (١)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- المحبر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، أبو جعفر البغداد، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط(١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث الغوي، رمضان عبد التواب، ط (٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي وشبتلر وأولندورف وزودن، ترجمة: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط (٢)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- المعجم السبئي، بيستون وريكمانز والغول ومولر، دار نشريات بيترز ومكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م .
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المكتبة الإسلامية ، تركيا، ١٩٧٢م.
- معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن أبي المكارم المُطَرِّزِيّ، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط (٤) ، دار الساقي، ٢٠٠١م.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، تحقيق: علي محمد فاخر وأحمد محمد السوداني وعبد العزيز محمد فاخر، ط (١)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحقيق: محمد زغلول سلام،منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
- من لهجات مهرة وآدابها، علي بن محسن آل حفيظ، مطابع النهضة، مسقط، ١٩٨٩م.
- المنتحل، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٩٠١م.
- المنتخب من غريب كلام العرب، كراع النمل أبو الحسن الهنائي، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- المنجد في اللغة، كراع النمل أبو الحسن الهنائي، تحقيق: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط (٤)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.
- موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد السابع بعد المائة، ١٤١٩هـ.

- النشرة الإحصائية للجهاز المركزي للإحصاء ، محافظة المهرة ، ٢٠٠٩م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، ط (١)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.